

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[البَقَرَة: ١٥٣]

لَيْسَ بِكَ تَصَبُّرٌ



حقوق الطبع ممدأة لكل مسلم

ISBN: 978-625-6686-59-5

الطبعة الأولى
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

GURABA YAYINCILIK TİC. LTD. ŞTİ.

الدار الأثرية للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع



+90 536 065 04 04



alguraba.arabic@gmail.com



www.alguraba.com



@gurabaarabic



Bağakşehir, Sabahattin Zaim Cd. Life Park Evleri, No: 8-G / 34480 Bağakşehir/İstanbul

Baskı-Cilt: Step Ajans Bosna Cad. No: 11

Bağcılar / İstanbul Yayın Sertifika No: 45522

لَيْسَ شَيْءٌ تَصْبِرُ

عَلَيَّ خَلِيلَكَ

الغُرَاباء
guraba

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

اللَّهُمَّ ارْفَعْ بِهَذَا الْكِتَابِ تَوَلِّفَهُ وَقَارِنَهُ وَمُتَابِعَهُ وَتَأْتِرَهُ
وَلِجَمْعِهِ لَوْجَهَكَ خَالِصًا
كَرِيمًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ربِّ يسِّرْ وأعِن.
 الحمدُ لله الصَّبورِ الشَّكورِ العليِّ الكبيرِ السَّميعِ
 البصيرِ العليمِ القديرِ، الذي شملتْ قدرته كلَّ
 مقدورٍ، وجرتْ مشيئته في خلقه بتصاريفِ الأمور،
 وأسَمعتْ دعوته لليوم الموعودِ أصحابَ القبورِ،
 قدَّرَ مقاديرَ الخلائقِ وآجالهم، وكتبَ آثارهم
 وأعمالهم، وقسَّم بينهم معاشهم وأموالهم،
 وخلق الموتَ والحياةَ ليبْلُوهم أيُّهم أحسنُ عملاً

لَيْتَ نَصِيرٌ

وهو العزيزُ الغفورُ، القاهرُ القادرُ، فكلُّ عسيرٍ عليه يسيرٌ، وهو المولى الناصرُ، فنعمَ المولى ونعمَ النصيرُ.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ① هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ② خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ③ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: ١-٤].

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له، إلهٌ جلَّ عن الشَّبيه والنَّظير، وتعالى عن الشَّريك والظَّهير، وتقدَّس عن تعطيلِ الملحدين، كما تنزه

عن شبه المخلوقين، ف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ^(١).

قال ابن القيم عن الصَّبرِ: (إِنَّ اللَّهَ سبحانه جعل الصَّبرَ جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا غالبًا لا يهزم، وحصنًا حصينًا لا يهدم ولا يثلم، فهو والنَّصرُ أخوان شقيقان) ^(٢).

وقال: قال أبو عثمان: (الصَّبارُ: هو الذي عوَّد نفسه الهجومَ على المكاره).

(١) من مقدِّمة «عَدَّة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين»، للإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة، متوفَّى ٧٥١هـ.

(٢) «عَدَّة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين»: ص ٥، للإمام محمَّد ابن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة، متوفَّى ٧٥١هـ.

وقيل: (الصَّبْرُ: المُقَامُ على البلاءِ بحسنِ الصُّحبةِ كالمقامِ مع العافية).

ومعنى هذا: أَنَّ لله على العبدِ عبوديَّةً في عافيته وفي بلائه، فعليه أن يُحسنَ صحبةَ العافية بالشُّكرِ، وصحبةَ البلاءِ بالصَّبْرِ.

وقال عمرو بن عثمان المكيُّ: (الصَّبْرُ: هو الثَّباتُ مع الله وتلقِّي بلائه بالرَّحْبِ والدَّعةِ) ومعنى هذا: إِنَّه يتلقَّى البلاءَ بصدْرٍ واسعٍ، لا يتعلَّقُ بالضَّيقِ والسُّخْطِ والشَّكوى.

وقال الخوَّاصُّ: (الصَّبْرُ: الثَّباتُ على أحكامِ الكتابِ والسُّنةِ).

وقال زُويم: (الصَّبْرُ تركُ الشَّكوى) فسَّره بلازمه.

وقال غيره: (الصَّبْرُ هو الاستعانةُ بالله).

وقال أبو علي: (الصَّبْرُ كاسمِهِ).

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: (الصَّبْرُ مطيئةٌ لا تكبو).

وقال أبو محمد الجري: (الصَّبْرُ ألا تفرّق بين حال النعمة والمحنة مع سكونِ خاطرٍ فيهما).

قلت: وهذا غيرُ مقدورٍ ولا مأمورٍ، فقد ركبَ الله الطَّبَاعَ على التَّفْرِيقِ بينَ الحالتينِ، وإنَّما المقدورُ حبسُ النَّفْسِ عنِ الجزعِ لا استواءُ الحالتينِ عند العبدِ.

وساحةُ العافيةِ أوسعُ للعبدِ من ساحةِ الصَّبْرِ، كما قال النبي ﷺ في الدعاءِ المشهورِ: «**إن لم يكن**

بك غضبٌ عليّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتك أوسع لي»، ولا يناقض هذا قوله: «وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصّبر»، فإنّ هذا بعد نزول البلاء ليس للعبد أوسع من الصّبر، وأمّا قبله فالعافية أوسع له منه.

وقال أبو علي الدّقاق: (حدّ الصّبر ألا يعترض على التّقدير) فأمّا إظهارُ البلاء على غير وجه الشّكوى فلا يُنافي الصّبر. قال الله تعالى في قصّة أيّوب عَلَيْهِ السّلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤] مع قوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾^(١).

(١) «عدّة الصّابرين وذخيرة الشّاكرين»: ص ٢٣، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد شمس الدّين ابن قيم الجوزيّة، متوفى ٧٥١هـ.

وقال: أصلُ هذه الكلمة هو: المنعُ والحبسُ.
 فالصَّبْرُ: حبسُ النفسِ عن الجزعِ، واللِّسانِ عن
 التَّشكِّي والتَّسَخُّطِ، والجَّوارِحِ عن لطمِ الخدودِ
 وشقِّ الثَّيابِ ونحوهما.

ويقالُ: صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا، وصَبَرَ نَفْسَهُ، قال
 تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾
 [الكهف: ٢٨].

وقال عنترةُ:
 فَصَبِرْتُ عَارِفَةً لِّذَلِكَ حَرَّةً تَرَسُو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطْلَعُ
 يقولُ: حبستُ نفسي عارِفَةً، وهي نفسُ حرٍّ
 يَأْنَفُ لَا نَفْسُ عَبْدٍ لَا أَنْفَةَ لَهُ.

وقوله: ترسو، أي: تثبت وتسكن، إذا خفت
نفس الجبان واضطربت.

ويقال: صبرت فلاناً، إذا حبسته، وصبرته
بالتشديد إذا حملته على الصبر.

وفي حديث الذي أمسك رجلاً وقتله آخر:
«يُقْتَلُ الْقَاتِلُ وَيُصْبَرُ الصَّابِرُ»، أي يحبس للموت
كما حبس من أمسكه للموت.

وصبرت الرجل إذا قتلته صبراً، أي أمسكته
للقتل^(١).

(١) «عدة الصّابرين وذخيرة الشّاكرين»: ص ١٥-١٦، للإمام
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدّين ابن قيم
الجوزيّة، متوفى ٧٥١هـ.

وقال ابنُ أبي الدنيا: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ
الْجَصَّاصُ: سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيَّ، قَالَ:
جُلَسَاءُ الرَّحْمَنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ جَعَلَ فِيهِ خِصَالُ
الْكِرَامِ، وَالسَّخَاءِ، وَالْحِلْمِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالرَّأْفَةِ،
وَالشُّكْرِ، وَالْبِرِّ، وَالصَّبْرِ^(١).

وقال ابنُ القيم: قال الإمامُ أحمدُ: «ذكرَ
اللهُ تعالى الصَّبْرَ في القرآنِ في نحوٍ من تسعين
مَوْضِعاً»^(٢).

(١) كتاب الشُّكْرِ: ص ٦٣، لأبي بكرٍ عبدِ الله بنِ مُحَمَّد بنِ
عبيد بنِ سفيان بنِ قيسٍ البغداديِّ الأمويِّ القرشيِّ
المعروف بابنِ أبي الدنيا، متوفَّى ٢٨١هـ.

(٢) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ١٢٩، للإمام
مُحمد بنِ أبي بكر بنِ أيُّوب بنِ سعد شمس الدِّين
ابنِ قيم الجوزيَّة، متوفَّى ٧٥١هـ.

ورد «الصَّبْر» في القرآن الكريم بصيغة الاسم،
 من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾
 [البقرة: ٤٥]، وجاء بصيغة الفعل، من ذلك قوله
 تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا
 وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وجاء بصيغة الفعل
 الماضي المفرد، منها قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا
 أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، وتكرَّر بصيغة جمع المذكر
 السَّالم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾
 [البقرة: ٥٣]، وتكرَّر بصيغة المبالغة أربع مرَّاتٍ،
 منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ
 صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥، لقمان: ٣١، سبأ: ١٩،
 الشورى: ٣٣].

الحكمةُ الإلهيةُ من المرضِ والمصائبِ
والأحزانِ والآلامِ، والشَّدائدِ، والفقرِ، والجوعِ،
والنقصِ في الأموالِ والأنفسِ والثَّمَرَاتِ، والبَلَايا،
والنَّصَبِ، والوَصَبِ، والخَوْفِ، والأوجاعِ الحسِّيَّةِ
والنَّفْسِيَّةِ، والخسائرِ الماديَّةِ، والقحطِ، والتَّعَثُّرِ،
والتَّعَبِ، وفقدِ الأهلِ والأحبابِ، وعقوقِ الأولادِ
ونشوزِ الأهلِ، هي ابتلاءٌ واختبارٌ وامتحانٌ، والحلُّ
الوحيدُ هو الصَّبْرُ، وعدمُ اليأسِ من رحمةِ الله فهو
ذنبٌ وإثمٌ، فرحمةُ الله واسعةٌ وفضله عظيمٌ وفرجه
قريبٌ، فلا قنوطَ من رحمةِ الله.

فَمِنْ الْمَصَائِبِ الْعَامَّةِ تُصِيبُ النَّاسَ، مِثْلَ
كَوَارِثِ الْأَرْضِيَّةِ، وَمِنْ الْمَصَائِبِ الْخَاصَّةِ تُصِيبُ
الْأَفْرَادَ لَيْسَتْ مِنْ بَابِ الْعُقُوبَةِ أَوْ الْمَخَالَفَةِ، وَإِنَّمَا

مصيبَةُ ابتلاءٍ وامتحانٍ لكي يَصْبِرَ. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وقد تَعَوَّدُ المصيبةُ بالنَّفْعِ العظيمِ للصَّابِرِ، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ومثَالُ ذلكِ أيضًا ما وردَ في سورةِ الكهفِ في قِصَّةِ أصحابِ الكهفِ وقِصَّةِ خرقِ السَّفِينَةِ، وقتلِ الغلامِ، وبناءِ الجدارِ.

قال الإمام الشافعي:

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرْجَا مِنْ رَاقِبِ اللَّهِ فِي الْأُمُورِ نَجَا
مَنْ صَدَقَ اللَّهُ لَمْ يَنْلُهُ أذى وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا^(١)

أوردت في هذا الكتاب من الآيات والأحاديث
ومن الأقوال ومن القصص، ما تنطق بالحكم
والعبر، ودروساً تُرشدُ إلى الطريق المستقيم،
وتدعو إلى الصبر على البلاء والنعم، ونقلت من
السيرة والأمثال ما يحثُّ على الصبر، والإيمان
بأقدار الله تعالى.

(١) ديوان الشافعي: لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي
المطليبي القرشي ١٥٠-٢٠٤هـ.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ أَكُونَ قَدْ وَفَّقْتُ فِي تَحْضِيرِي هَذَا
الْكِتَابَ الْمَتَوَاضِعَ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ مَنْ يَقْرُوهُ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

علي خليل

١٤٤٧/٠٢/٢٤ هـ

٢٠٢٥/٠٩/٢٤ م



﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾

١

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ

وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

قال السَّعْدِيُّ: أمرهمُ اللهُ أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصَّبر بجميع أنواعه، وهو الصَّبرُ على طاعةِ اللهِ حتى يؤدِّيها، والصَّبرُ عن معصيةِ اللهِ حتى يتركها، والصَّبرُ على أقدارِ اللهِ المؤلمةِ فلا يتسخطُّها، فبالصَّبرِ وحسبِ النَّفسِ على ما أمرَ اللهُ بالصَّبرِ عليه معونةٌ عظيمةٌ على كلِّ أمرٍ من الأمور، ومن يتصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وكذلك الصَّلَاةُ الَّتِي هي ميزانُ الإيمانِ، وتنهى عن الفحشاءِ والمنكرِ، يُستعانُ بها على كلِّ أمرٍ من الأمور،

﴿وَأَنهَا﴾ أي: الصَّلَاةُ ﴿لَكِبْرَةٌ﴾ أي: شاقَّةٌ ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ فَإِنَّهَا سَهْلَةٌ عَلَيْهِمْ خَفِيفَةٌ؛ لِأَنَّ الْخُشُوعَ، وَخَشْيَةَ اللَّهِ، وَرَجَاءَ مَا عِنْدَهُ يُوجِبُ لَهُ فَعْلَهَا، مُنْشَرِّحًا صَدْرَهُ لَتَرْقِيهِ لِلثَّوَابِ، وَخَشْيَتِهِ مِنَ الْعِقَابِ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا دَاعِيَ لَهُ يَدْعُوهُ إِلَيْهَا، وَإِذَا فَعَلَهَا صَارَتْ مِنْ أَثْقَلِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ ^(١).

قال ابن القيم: وبالجملَةِ: فَالصَّبْرُ عَلَى الْوَاجِبِ وَاجِبٌ وَعَنِ الْوَاجِبِ حَرَامٌ، وَالصَّبْرُ عَنِ الْحَرَامِ وَاجِبٌ وَعَلَيْهِ حَرَامٌ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمُسْتَحَبِّ مُسْتَحَبٌّ وَعَنْهُ مَكْرُوهٌ، وَالصَّبْرُ عَنِ الْمَكْرُوهِ

(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٥١،
للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، متوفى ١٣٧٦ هـ.

مستحبٌ وعليه مكروهٌ، والصَّبْرُ عن المباحِ وعليه مباحٌ، والله أعلم^(١).

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وآله بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون في الله تعالى، فقال لهم: «صَبْرًا آل ياسر صَبْرًا آل ياسر، فَإِنْ مَوْعِدْكُمْ الْجَنَّةَ»^(٢)



-
- (١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٥، للإمام محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.
- (٢) أخرجه أبو أحمد الحاكم في «الأسامي والكنى»: ١٢٦/١، وابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب»: ٤٦.

٢

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَّصِيرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَّصِيرَ
 عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا
 مِمَّا تُبْنِي الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا
 وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ
 أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ
 مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ
 وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
 يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

[البقرة: ٦١].

قال ابنُ كثير: يقولُ تعالى: واذكروا نعمتي
عليكم في إنزالي عليكم المنَّ والسَّلوى، طعامًا
طيبًا نافعًا هنيئًا سهلًا، واذكروا دبركم وضجركم
مما رزقْتُكم وسؤالكم موسى استبدالَ ذلك
بالأطعمةِ الدنيَّةِ من البقولِ ونحوها ممَّا سألتُم.

وقال الحسنُ البصريُّ رحمته الله: فَبَطَرُوا ذلك ولم
يَصبروا عليه، وَذَكَرُوا عِشْهَمَ الذي كانوا فيه،
وكانوا قومًا أهلَ أَعْداسٍ وبصلٍ وبقولٍ وفومٍ،
فقالوا: ﴿يُمُوسَى لَن نَّصِيرَ عَلَى طَعَامِ وَاحِدٍ
فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ مِنْ
بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [وهم
يأكلون المنَّ والسَّلوى، لأنَّه لا يتبدَّل ولا يتغيَّر كلُّ

يومٍ فهو كأكَلٍ واحدٍ]. فالبَقُولُ والقَتَاءُ والْعَدَسُ
والبَصْلُ كُلُّهَا معروفَةٌ^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: نَوْعٌ - مِنَ الصَّبْرِ - لَا اخْتِيَارَ
لِلخَلْقِ فِيهِ، كَالْأَمْرَاضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَصَائِبِ
السَّمَاوِيَّةِ، وَهَذَا النَّوعُ يَسْهُلُ الصَّبْرُ فِيهِ لِأَنَّ الْعَبْدَ
يَشْهَدُ فِيهِ قَضَاءَ اللَّهِ وَقَدْرَهُ، وَأَنَّهُ لَا مَدْخَلَ لِلنَّاسِ
فِيهِ فَيَصْبِرُ إِمَّا اضْطِرَارًا وَإِمَّا اخْتِيَارًا^(٢).



(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٢٨٠ / ١، للإمام عماد الدين
أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،
متوفى ٧٧٤هـ.

(٢) «قاعدة في الصبر»: ص ٣، لشيخ الإسلام أبي العباس
تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني
الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.

٣

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

قال ابنُ كثير: لما فرغ تعالى من بيانِ الأمرِ
بالشُّكرِ شرعَ في بيانِ الصَّبْرِ، والإرشادِ إلى
الاستعانةِ بالصَّبْرِ والصَّلَاةِ، فإنَّ العبدَ إمَّا أن يكونَ
في نعمةٍ فيشكرَ عليها، أو في نقمةٍ فيصبرَ عليها^(١).

قال ابنُ القيم: ولمَّا كان سبحانه هو الشُّكور

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ١٢٧/٢، للإمام عماد الدين
أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيِّ الدمشقي،
متوفى ٧٧٤هـ.

على الحقيقة كان أحبَّ خلقه إليه من اتَّصفَ
 بصفة الشُّكرِ، كما أنَّ أبغضَ خلقه إليه من عطلَّها
 واتَّصفَ بضدِّها، وهذا شأنُ أسمائه الحُسنى:
 أحبُّ خلقه إليه من اتَّصفَ بموجبها، وأبغضُهم
 إليه من اتَّصفَ بأضدادها، ولهذا يبغضُ الكفورَ،
 والظَّالَمَ والجاهلَ والقاسي القلبَ والبخيلَ
 والجبانَ والمهينَ والليِّمَ.

وهو جميلٌ يحبُّ الجمالَ، عليمٌ يحبُّ العلماءَ،
 رحيمٌ يحبُّ الرَّاحمينَ، محسنٌ يحبُّ المحسنينَ،
 شكورٌ يحبُّ الشَّاكرينَ، صبورٌ يحبُّ الصَّابرينَ،
 جوادٌ يحبُّ أهلَ الجودِ، ستيرٌ يحبُّ أهلَ السَّترِ،
 قادرٌ يلومُ على العجزِ، والمؤمنُ القويُّ أحبُّ
 إليه من المؤمنِ الضَّعيفِ، عفوٌ يحبُّ العفوَ، وترٌ
 يحبُّ الوترَ، وكلُّ ما يحبه فهو من آثارِ أسمائه

وصفاته وموجبها، وكلُّ ما ييغُضُّه فهو مما يصادُّها ويُنافيها^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَأَنَّهُ نَفْسُهُ ظَالِمٌ مُذْنِبٌ، وَأَنَّ مَنْ عَفَى عَنِ النَّاسِ عَفَى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ عَفَرَ لَهُمْ عَفَرَ اللَّهُ لَهُ فَإِذَا شَهِدَ أَنَّ عَفْوَهُ عَنْهُمْ وَصَفْحَهُ وَإِحْسَانَهُ مَعَ إِسَاءَتِهِمْ إِلَيْهِ، سَبَبٌ لِأَنْ يَجْزِيَهُ اللَّهُ كَذَلِكَ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ، فَيَعْفُو عَنْهُ وَيَصْفَحَ، وَيُحْسِنَ إِلَيْهِ عَلَى ذُنُوبِهِ، وَيَسْهَلَ عَلَيْهِ عَفْوُهُ وَصَبْرُهُ وَيَكْفِي الْعَاقِلَ هَذِهِ الْفَائِدَةُ^(٢).

(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٥٤٤، للإمام مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر بن أَيُّوب بن سَعْد شَمْس الدِّين ابن قِيَم الجوزِيَّة، مَتَوَفَى ٧٥١هـ.

(٢) «فَاعِدَةُ فِي الصَّبْرِ»: ص ٧، لِشَيْخِ الْإِسْلَام أَبِي الْعَبَّاسِ تَقِيَّ الدِّينِ أَحْمَد بن عَبْدِ الْحَلِيمِ ابن تَيْمِيَّةَ الْحَرَانِيِّ الدَّمَشْقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مَتَوَفَى ٧٢٨هـ.

٤

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ [البقرة: ١٥٥].

قال السَّعْدِيُّ: أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَتَّبِلِي عِبَادَهُ بِالْمَحَنِ، لِيَتَّبِينَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالْجَازِعُ مِنَ الصَّابِرِ، وَهَذِهِ سِتَّةُ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ؛ لِأَنَّ السَّرَّاءَ لَوْ اسْتَمَرَّتْ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَحْصُلْ مَعَهَا مَحَنَةٌ، لَحْصَلَ الْاِخْتِلَاطُ الَّذِي هُوَ فُسَادٌ، وَحِكْمَةُ اللَّهِ تَقْتَضِي تَمْيِيزَ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ. هَذِهِ فَائِدَةُ الْمَحَنِ، لَا إِزَالَةَ مَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَا رَدَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَمَا كَانَ اللَّهُ

ليضيعَ إيمانَ المؤمنين، فأخبرَ في هذه الآية أَنَّهُ سَيَتَلِي عِبَادَهُ ﴿بِشْيٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ من الأعداءِ، ﴿وَالْجُوعِ﴾ أي: بشيءٍ يسيرٍ منهما؛ لَأَنَّهُ لَوْ ابْتَلَاهُم بِالْخَوْفِ كُلِّهِ، أَوِ الْجُوعِ، لَهَلَكُوا، وَالْمَحْنُ تَمَحُّصٌ لَا تَهْلُكُ.

﴿وَقَصِّصْ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ وهذا يشملُ جميعَ النَّقْصِ الْمُعْتَرِي لِلْأَمْوَالِ مِنْ جَوَائِحِ سَمَاوِيَّةٍ، وَغَرَقٍ، وَضِياعٍ، وَأَخْذِ الظَّلَمَةِ لِلْأَمْوَالِ، مِنَ الْمُلُوكِ الظَّلَمَةِ، وَقُطَاعِ الطَّرِيقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ أي: ذهابُ الأَحْبَابِ مِنَ الْأَوْلَادِ، وَالْأَقَارِبِ، وَالْأَصْحَابِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ الْأَمْرَاضِ فِي بَدَنِ الْعَبْدِ، أَوْ بَدَنِ مَنْ يُحِبُّهُ، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ أي: الْحُبُوبُ، وَثَمَارُ النَّخِيلِ، وَالْأَشْجَارُ كُلُّهَا، وَالْخَضِرُ بَبْرَدٍ، أَوْ

بَرْدٍ، أَوْ حَرِّ، أَوْ آفَةٍ سَمَاوِيَّةٍ، مِنْ جَرَادٍ وَنَحْوِهِ.

فهذه الأمور، لا بدَّ أن تقعَ، لأنَّ العليمَ الخيرَ،
أخبرَ بها، فوقعتْ كما أخبرَ، فإذا وقعتِ انقسمَ
النَّاسُ قسمَيْنِ: جازِعَيْنِ وصَابِرَيْنِ، فالجَازِعُ،
حصلتْ له المصِيبَتانِ، فواتُ المحبُوبِ، وهو
وجودُ هذه المصِيبَةِ، وفواتُ ما هو أعظمُ منها،
وهو الأجرُ بامْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ بِالصَّبْرِ، ففازَ بالخسارةِ
والحرمانِ، ونقصَ ما معه من الإيمانِ، وفاته الصَّبْرُ
والرِّضَا والشُّكرانُ، وحصلَ [له] السُّخْطُ الدَّالُّ
على شِدَّةِ النُّقْصَانِ.

وَأَمَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِلصَّبْرِ عِنْدَ وجودِ هذه
المصائبِ، فحبسَ نفسَه عن التَّسَخُّطِ، قولًا وفعلاً،
واحتسبَ أجرَها عِنْدَ اللَّهِ، وعلمَ أَنَّ ما يدركُه من

الأجرِ بصبرِه أعظم من المصيبةِ التي حصلت له، بل المصيبةُ تكونُ نعمةً في حقِّه؛ لأنَّها صارت طريقاً لحصولِ ما هو خيرٌ له وأنفعُ منها، فقد امْتَثَلَ أمرَ الله، وفازَ بالثَّوابِ، فلهذا قالَ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) أي: بشِّرْهم بأنَّهم يوفون أجرَهم بغيرِ حسابٍ.

ف «الصَّابِرِينَ»، همُ الَّذِينَ فازوا بالبشارةِ العظيمةِ، والمنحةِ الجسيمةِ، ثمَّ وصفَهم بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ وهي كُلُّ ما يُؤْلِمُ القلبَ أو البدنَ أو كليهما (١).

عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، قال: دَخَلْنَا مع رَسولِ

(١) «تفسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٧٦، للشيخ عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي، متوفى ١٣٧٦ هـ.

الله ﷺ على أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا حَاضِنًا
 لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ،
 فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ
 يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلْتُ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذَرِفَانِ،
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ
 اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا بَنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ» ثُمَّ أَتْبَعَهَا
 بِأُخْرَى، فَقَالَ عليه السلام: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ،
 وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ
 لَمَحْزُونُونَ»^(١).

الابتلاء ليس حالة خاصة بفئة معينة، بل هو
 الاختبار لكل البشر فهو يُفرز الصفوف ويُبقي
 على الصفوة الصادقة، فالصبر والبصيرة واليقين

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ١٣٠٣، ومسلم ٢٣١٥.

والثبات على الحق يؤخذ ثمرة الابتلاء.

والملكية المطلقة لله ونحن عبيده، والمالك يتصرف فينا وفي ملكه كيفما يشاء، ومصيرنا ومرجعنا إليه، وهذا اليقين يُسقط قيمة أي خسارة مادية أمام قيمة الإيمان ولقاء الله والجزاء والفوز العظيم.

قال الحسن: ما جرعتان أحب إلى الله من جرعة مصيبة موجعة محزنة، ردّها صاحبها بحسن عزاءٍ وصبر، وجرعة غيظٍ ردّها بحلم^(١).



(١) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»: ص ٩٩، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

٥

قال الله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال السَّعْدِيُّ: أي: الفقر؛ لأنَّ الفقيرَ يحتاجُ إلى الصَّبرِ من وجوهٍ كثيرةٍ، لكونه يحصلُ له من الآلامِ القلبيةِّ والبدنيَّةِ المستمرَّةِ ما لا يحصلُ لغيره. فإنَّ تنعمَ الأغنياءِ بما لا يقدرُ عليه تألم، وإن جاع أو جاعت عياله تألم، وإن أكل طعاماً غيرَ موافقٍ لهواه تألم، وإن عرى أو كاد تألم، وإن نظرَ إلى ما بين يديه وما يتوهمه من المستقبلِ الذي يستعدُّ

له تألم، وإن أصابه البرد الذي لا يقدرُ على دفعه تألم. فكلُّ هذه ونحوها، مصائبٌ، يؤمرُ بالصَّبرِ عليها، والاحتساب، ورجاء الثوابِ من الله عليها.

﴿وَالضَّرَاءُ﴾ أي: المرضُ على اختلافِ أنواعه، من حُمَّى، وقروح، ورياح، ووجعِ عضوٍ، حتى الضَّرْس والإصبع ونحو ذلك، فإنه يحتاجُ إلى الصَّبرِ على ذلك؛ لأنَّ النفسَ تضعفُ، والبدنُ يألم، وذلك في غاية المشقةِ على النفوسِ، خصوصاً مع تطاولِ ذلك، فإنه يؤمرُ بالصَّبرِ، احتساباً لثوابِ الله [تعالى].

﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي: وقتُ القتالِ للأعداءِ المأمورِ بقتالِهِم، لأنَّ الجلاذ، يشقُّ غايةَ المشقةِ

على النَّفْسِ، ويجزَعُ الإنسانُ من القتلِ، أو الجراحِ
أو الأسْرِ، فاحتيجُ إلى الصَّبْرِ في ذلك احتساباً،
ورجاءً لثوابِ الله [تعالى] الذي منه النَّصْرُ
والمعونة، الَّتِي وعدَها الصَّابِرِينَ.

﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المَتَّصِفُونَ بما ذكر من
العقائدِ الحسنةِ، والأعمالِ الَّتِي هي آثارُ الإيمانِ،
وبرهانه ونوره، والأخلاقُ الَّتِي هي جمالُ الإنسانِ
وحقيقة الإنسانية، فأولئك هم ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾
في إيمانهم، لأنَّ أعمالهم صدَّقت إيمانهم،
﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ لأنَّهم تركوا المحظورَ،
وفعلوا المأمورَ؛ لأنَّ هذه الأمورَ مشتملةٌ على كلِّ
خصالِ الخيرِ، تضمُّناً ولزوماً، لأنَّ الوفاءَ بالعهدِ،

يدخل فيه الدين كله، ولأنَّ العباداتِ المنصوصَ عليها في هذه الآية أكبرُ العباداتِ، ومَن قامَ بها، كان بما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرارُ الصادقون المتّقون^(١).

عن أنسٍ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ عادَ رجُلًا مِنَ المُسلمينَ قد خَفَتَ فِصارَ مِثْلِ الفَرخِ، فقالَ له رسولُ الله ﷺ:

«هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ، أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ؛ كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) «تفسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٨٤، للشيخ عبد الرَّحمن بنِ ناصر السَّعدي، متوفى ١٣٧٦ هـ.

«سُبْحَانَ اللَّهِ! لَا تُطِيقُهُ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ أَفَلَا قُلْتَ:
اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ»، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ، فَشَفَاهُ^(١).

عن مجاهد قال: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه:
وجدنا خيرَ عيشِنَا بالصَّبْرِ^(٢).



-
- (١) أخرجه مسلم ٢٦٨٨، وأخرجه عبد بن حميد ١٣٩٧،
والنسائي في «السنن الكبرى»: ١٠٨٢٥، وأبو يعلى
٣٧٥٩، جميعهم باختلافٍ يسير.
- (٢) «تسليّة اهل المصائب»: ص ١٤١، لأبي عبد الله محمد
ابن محمد المنبجي الحنبلي.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

٦

● قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ
بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ
شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ
فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ
هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا
الْيَوْمَ بِالْجَالُوتِ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ
أَنَّهُم مُّلْقُوا بِاللَّهِ كَمَ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ
فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ
﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا
أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩-٢٥٠]

قال السَّعْدِيُّ: أي: لما تملك طالوتُ بني إسرائيل واستقرَّ له الملكُ تجهَّزوا لقتالِ عدوِّهم، فلمَّا فصلَ طالوتُ بجنودِ بني إسرائيل وكانوا عددًا كثيرًا وجمًّا غفيرًا، امتحنهم بأمرِ الله ليتبينَ الثَّابِتُ المطمئنُّ ممَّن ليس كذلك، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فهو عاصٍ ولا يتبعنا لعدمِ صبره وثباته ولمعصيته ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي: لم يشربْ منه فإنَّه مِنِّي ﴿إِلَّا مَنْ أَغْرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فلا جناحَ عليه في ذلك، ولعلَّ الله أن يجعلَ فيها بركةً فتكفيه، وفي هذا الابتلاءِ ما يدلُّ على أنَّ الماءَ قد قلَّ عليهم ليتحقَّقَ الامتحانُ، فعصى أكثرُهم وشربوا من

النَّهْرِ الشُّرْبَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، وَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ
وَنَكَّصُوا عَنْ قِتَالِ عَدُوِّهِمْ، وَكَانَ فِي عَدَمِ صَبْرِهِمْ
عَنِ الْمَاءِ سَاعَةً وَاحِدَةً أَكْبَرَ دَلِيلَ عَلَى عَدَمِ صَبْرِهِمْ
عَلَى الْقِتَالِ الَّذِي سَيَتَپَاوَلُ وَتَحْصُلُ فِيهِ الْمَشَقَّةُ
الْكَبِيرَةُ، وَكَانَ فِي رَجْوَعِهِمْ عَنْ بَاقِي الْعَسْكَرِ مَا
يَزِدُّهُ الثَّابِتُونَ تَوَكُّلاً عَلَى اللَّهِ، وَتَضَرُّعاً وَاسْتِكَانَةً
وَتَبَرُّعاً مِنْ حَوْلِهِمْ وَقَوَّتِهِمْ، وَزِيَادَةَ صَبْرِ لِقَلَّتِهِمْ
وَكَثْرَةَ عَدُوِّهِمْ، فَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾
أَي: النَّهْرَ ﴿هُوَ﴾ أَي: طَالُوتُ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
مَعَهُ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ أَطَاعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَلَمْ يَشْرَبُوا
مِنَ النَّهْرِ الشُّرْبَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ فَرَأَوْا قَلَّتَهُمْ وَكَثْرَةَ
أَعْدَائِهِمْ، قَالُوا: أَي: قَالَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ: ﴿لَا طَاقَةَ

لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴿ لَكَرَّهْتَهُمْ وَعَدَدْتَهُمْ
وَعُدَّاهُمْ.

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ﴾ أي: يستيقنون ذلك، وهم أهل الإيمان الثابت واليقين الراسخ، مثبتين لباقيهم ومطمئنين لخواطريهم، وأمريين لهم بالصبر: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ
فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بإرادته ومشئته، فالأمر لله تعالى، والعزیز من أعزه الله، والدليل من أذله الله، فلا تُغني الكثرة مع خذلانه، ولا تضر القلة مع نصره.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٢٤٩﴾ بالنصر والمعونة والتوفيق، فأعظم جالبٍ لمعونة الله صبر العبد لله،

فوقعت موعظته في قلوبهم وأثرت معهم ^(١).

وقال ابن كثير: أي: لما واجه حزب الإيمان وهم قليل من أصحاب طالوت عدوهم أصحاب جالوت وهم عدد كثير ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: أنزل علينا صبرًا من عندك، ﴿وَتَبَيَّنَ أَقْدَامَنَا﴾ أي: في لقاء الأعداء، وجنّبنا الفرار والعجز، ﴿وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ^(٢).

عن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه، عن رسول

(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ١٠٨، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، متوفى ١٣٧٦هـ.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»: ٢/ ٤٢٥، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

الله ﷺ: أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ، فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ
الله، وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُكْفَرُ عَنِّي
خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ».
ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ قُتِلْتَ؟» قَالَ: أَرَأَيْتَ
إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَتُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ
لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ،
مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدِّينَ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ
لِي ذَلِكَ»^(١).



﴿الصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقِينَ﴾

٧

قال الله تعالى: ﴿الصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقِينَ
وَالْقٰنِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
[آل عمران: ١٧-١٨].

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابنُ عباسٍ:
ألا أريك امرأةً من أهل الجنة؟ قلتُ: بلى، قال:
هذه المرأة السوداء؛ أتت النبي ﷺ فقالت: إني
أُصرعُ، وإني أتكشَّفُ، فادعُ الله لي، قال: «إِنْ
شِئْتَ صَبَرْتُ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ

«أَنْ يُعَافِيَكُمْ»، فَقَالَتْ: أَصْبِرْ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَلَّا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا [وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَطَاءٍ]: أَنَّهُ رَأَى أُمَّ زُفَرَ تِلْكَ، امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ عَلَى سِتْرِ الْكَعْبَةِ^(١).

وعن الشَّعْبِيِّ، قال شَرِيحٌ: «إِنِّي لِأُصَابَ بِالمَصِيبَةِ، فَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، أَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمُ مِنْهَا، وَأَحْمَدُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَأَحْمَدُ إِذْ وَقَّقَنِي لِلِاسْتِرْجَاعِ لِمَا أَرْجُو مِنَ الثَّوَابِ، وَأَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِي»^(٢).

(١) «صحيح البخاري»: ٥٦٥٢.

(٢) «الوسيط في تفسير القرآن المجيد»: ١/ ٢٤٠، تأليف: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، متوفى ٤٦٨ هـ.

وقال ابنُ الجوزي: اسألوا الله العافية، والسَّعيدُ
مَنْ ذلَّ لله وسألَ العافية؛ فإنَّه لا يوهبُ العافيةَ على
الإطلاق؛ إذ لا بدَّ من بلاءٍ، ولا يزالُ العاقلُ يسألُ
العافيةَ ليتغلَّبَ على جمهورِ أحواله، فيقربُ الصَّبرِ
على يسيرِ البلاءِ.

وفي الجملة: ينبغي للإنسان أن يعلمَ أنَّه
لا سبيلَ إلى محبوباته خالصة؛ ففي كلِّ جرعةٍ
غصصٌ، وفي كلِّ لقمةٍ شجأ:

وكم من يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيلَ إلى الوصالِ

وعلى الحقيقة ما الصَّبرُ إلا على الأقدارِ، وقُلْ
أن تجري الأقدارُ إلا على خلافِ مرادِ النَّفسِ.

فالعاقلُ مَنْ دارى نفسه في الصَّبرِ بوعدِ

الأجر، وتسهيل الأمر؛ ليذهبَ زمانُ البلاءِ سالمًا
 من الشَّكوى، ثمَّ يستغيثُ باللهِ تعالى سائلًا العافية.
 فأما المتجلِّدُ فما عرفَ اللهَ قطُّ، نعوذُ باللهِ من
 الجهلِ به، ونسألهُ عرفانه، إِنَّه كريمٌ مجيبٌ^(١).

عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ:
 يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ
 ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ،
 حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٢).



-
- (١) «صيد الخاطر»: ص ٢٢٠، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد
 الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.
 (٢) أخرجه الترمذي ٢٣٩٨، وابن ماجه ٤٠٢٣، وأحمد
 ١٤٨١، باختلافٍ يسير.

٨

﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾

قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ
وَأِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَانْ تَصْبِرُوا
وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

قال ابن كثير: وهذه الحال دالة على شدة
العداوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين
خصبٌ ونصرٌ وتأيدٌ وكثروا وعزَّ أنصارُهم ساءَ
ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سَنَةٌ - أي:
جذب - أو أديل عليهم الأعداء، لما لله في ذلك
من الحكمة، كما جرى يوم أُحُد، فرح المنافقون
بذلك، قال الله تعالى مخاطبًا عباده المؤمنين:

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١٢٠)، يرشدُهم تعالى إلى السَّلامة من شرِّ الأشرار، وكيدِ الفجَّارِ باستعمالِ الصَّبْرِ والتَّقْوَى والتَّوَكُّلِ على الله الذي هو محيطٌ بأعدائهم، فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقعُ في الوجودِ شيءٌ إلا بتقديره ومشيئته، ومَن تَوَكَّلَ عليه كفاهُ^(١).

قال ابنُ الجوزي: وقد أجمعَ الحكماءُ أنَّه لا تنالُ راحةٌ براحَةٍ، ومثلُ لِنَفْسِكَ عاقبة الطَّاعةِ ومغَبَّةُ المعصيةِ، فكأنَّه ما شَبَعَ من شَبَعَ، ولا التَّدَّ مَنْ

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ١٦٩/٣، للإمام عماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيَّ الدَّمَشَقِيَّ، متوفى ٧٧٤هـ.

عَصَى، وَلَا تَأْلَمْ مَنْ صَبَرَ، وَأَيْنَ لَذَّةُ [الْقَمَةِ] آدَمَ؟
وَأَيْنَ مَشَقَّةُ صَبْرِ يُوسُفَ؟ وَاحْذَرُ مِنْ مَخَالَطَةِ أَهْلِ
هَذَا الزَّمَانِ، فَإِنَّ الطَّبَعَ يَسْرِقُ عَادَاتِ الْمَعَاشِرِينَ،
وَلتَكُنْ مَخَالَطَتُكَ لِلسَّلَفِ بِالْإِطْلَاعِ عَلَى أَحْوَالِهِمْ.
وَحَادِثِ الْقُرْآنِ بِالْفِكْرِ فِيهِ فِي الْخُلُوتِ، وَتَصَفَّحْ
جِهَازَ الرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تُفَاجَأَ بَغْتَةً، فَلَا تَرَى عِنْدَكَ
غَيْرَ النَّدَمِ^(١).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَإِنَّمَا كَانَ الصَّبْرُ عَلَى السَّرَّاءِ
شَدِيدًا؛ لِأَنَّهُ مَقْرُونٌ بِالْقُدْرَةِ، وَالْجَائِعُ عِنْدَ غِيَبَةِ
الطَّعَامِ أَقْدَرُ مِنْهُ عَلَى الصَّبْرِ عِنْدَ حُضُورِهِ، وَكَذَلِكَ

(١) «تنوير الغبش في فضل السودان والحبش»: ص ٢٥١،
للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

الشَّقُّ عِنْدَ غِيَةِ الْمَرَأَةِ أَصْبِرُ مِنْهُ عِنْدَ حُضُورِهَا ^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّبْرِ إِلَّا قَهْرُهُ
لِنَفْسِهِ وَلِشَيْطَانِهِ، فَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ سُلْطَانُ الْقَلْبِ
وَتَثْبُتُ جُنُودُهُ، فَيَفْرَحُ وَيَقْوَى وَيَطْرُدُ الْعَدُوَّ عَنْهُ ^(٢).



(١) «عَدَّةُ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٦٣، للإمام
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ
قِيَمِ الْجُوزِيَّةِ، مَتَوَفَى ٧٥١هـ.

(٢) «قَاعِدَةُ فِي الصَّبْرِ»: ص ٨، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ
تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ
الدَّمَشَقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مَتَوَفَى ٧٢٨هـ.

﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ ٩

قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾
[آل عمران: ١٢٥].

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة، إذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ﴾ (١)؟ وذلك يوم بدر^(١).

(١) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن):
١٧٣/٧، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري،
متوفى ٣١٠هـ.

لَيْتَ نَصِيرٌ

قال ابنُ تيمية: بالصَّبرِ واليقينِ تُنالُ الإمامةُ في الدِّينِ، ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] ^(١).

عن سعدِ بنِ مالك رضي الله عنه، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ:
أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ
فالأمثلُ؛ يُبتلى الرَّجلُ حسبَ دينه؛ فإنَّ كانَ دينُهُ
صُلْبًا اشتدَّ بلاءُهُ، وإنَّ كانَ في دينه رِقَّةٌ ابتلي على
حسبِ دينه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يترُكه
يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ» ^(٢).

(١) (مدارج السَّالِّكين بين منازلِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ):
١٢٨/٢، للإمامِ شمس الدِّينِ مُحَمَّد بنِ أَبِي بَكْر ابنِ قِيَم
الجوزيَّة، متوفى ٧٥١هـ.

(٢) أخرجه ابن حبان ٢٩٠١، وأخرجه أبو يعلى ٨٣٠ بلفظه،

نهى الله تعالى عباده عن الوهن والحزن، قال
الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم
يقول: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِهِ نِعْمَةٌ
الْبَصَرِ فَصَبْرٌ؛ عَوَّضَتْهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةُ. يُرِيدُ عَيْنِيهِ» ^(١).



والترمذي ٢٣٩٨، وابن ماجه ٤٠٢٣، باختلافٍ يسير.
(١) «صحيح البخاري»: ٥٦٥٣.

﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾

١٠

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا

الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ

وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

قال ابن كثير: أي: أحسبتم أن تدخلوا الجنة

ولم تُبْتَلُوا بالقتالِ والشَّدائدِ، كما قال تعالى

في سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ

وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ

مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]،

وقال تعالى: ﴿الْم ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا

أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾
[العنكبوت: ١-٣] ^(١).

وهذا يسلي المسلم ويجعله يصبر، حيث لم يسلم من البلاء أحد، فليس هو لبعض الناس فيتسلى بمصاب غيره.

قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

قال ابن كثير: قال الأعمش، عن أبي ظبيان

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٣/ ٢٠٠، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

لَيْتَ نَصِيرٌ

قال: كُنَّا عِنْدَ عَلْقَمَةَ فَقَرَأَ عِنْدَهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ فُسِّلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمَصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيَسْلَمُ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَاتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَائِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى ^(٢).

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ١٣٨/٨، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

(٢) «صحيح البخاري»: ١٢٨٣.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

١١

قال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ
مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾
[آل عمران: ١٤٦].

قال السَّعْدِيُّ: هذا تسليةٌ للمؤمنين، وحثٌّ
على الاقتداء بهم، والفعل كفعليهم، وأنَّ هذا أمرٌ
قد كان متقدِّماً، لم تزل سنَّةُ الله جاريةً بذلك، فقال:
﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ﴾ أي: وكم من نبِيٍّ ﴿قَتَلَ
مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ﴾ أي: جماعاتٌ كثيرون من
أتباعهم، الَّذِينَ قد ربَّتهم الأنبياءُ بالإيمان والأعمالِ
الصَّالِحَةِ، فأصابهم قتلٌ وجراحٌ وغيرُ ذلك.

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلُّوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجّعوا أنفسهم، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» (٢).



(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ١٥١، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، متوفى ١٣٧٦ هـ.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٨٢٣، ومسلم ٢٧٠٦.

١٢

﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ

وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا

أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ

ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

قال القرطبي: هذا الخطاب للنبي ﷺ وأُمَّته.

والمعنى: لتختبرنَّ ولتمتحننَّ في أموالكم

بالمصائب والأرزاء بالإنفاق في سبيل الله وسائر

تكاليف الشرع.

والابتلاء في الأنفس بالموت والأمراض وفقد الأحاب. وبدأ بذكر الأموال لكثرة المصائب بها^(١).

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولٌ إِحْدَى بَنَاتِهِ، يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدْفَعَ

(١) «الجامع لأحكام القرآن» تفسير القرطبي، ١٩٣/٤، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، متوفى ٦٧١ هـ.

الصَّبِيَّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّْ، فَفَاضَتْ
عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَ:
«هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا
يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ»^(١).

قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: إِنَّا لَنَجِدُ بِأَمْوَالِنَا مَا
يَجِدُ الْبَخْلَاءُ لَكِنَّا نَتَصَبَّرُ^(٢).



(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٧٣٧٧، ومسلم ٩٢٣.

(٢) إحياء علوم الدين: ٣/٣١٢، لأبي حامد محمد بن
محمد الغزالي الطوسي، متوفى ٥٠٥هـ.

﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ ١٣

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

قال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعزّ الدارين، لأنّهم نالوا من الله معيته، فإنّ الله مع الصّابرين.

وقيل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تَفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. إنه انتقال من الأدنى

إلى الأعلى. فالصَّبْرُ دون المصابرة. والمصابرةُ دون المِرابطة، والمِرابطةُ مفاعلةٌ من الرَبَطِ وهو الشَّدُّ. وسَمِّيَ المِرابطُ مِرابطاً: لأنَّ المِرابطين يربطون خيولهم ينتظرون الفزع. ثمَّ قيل لكلِّ منتظرٍ قد ربط نفسه لطاعةٍ ينتظرُها: مِرابطٌ^(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥].

قال ابن القيم: أقعدوا هذه النفوس؛ فإنَّها طلعةٌ إلى كلِّ سوءٍ، فرحمَ الله امرءاً جعل لنفسه خطاماً

(١) «مدارج السَّالِكين بين منازل إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»:

ص ١١٨، للإمام شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَبِي بكر ابن قِيَم الجوزيَّة، متوفى ٧٥١هـ.

وزمًا فقادها بخطامها إلى طاعة الله وصرفها
بزمائها عن معاصي الله، فَإِنَّ الصَّبْرَ عن محارم الله
أيسرُ من الصَّبْرِ على عذابه.

قلتُ: والنَّفْسُ فيها قوتانِ: قوَّةُ الإقدامِ وقوَّةُ
الإحجامِ، فحقيقةُ الصَّبْرِ أن يجعلَ قوَّةَ الإقدامِ
مصرفَةً إلى ما ينفعُه، وقوَّةَ الإحجامِ إمساكًا عما
يضرُّه.

ومن النَّاسِ من تكونُ قوَّةُ صبرِه على فعل ما
ينتفعُ به وثباته عليه أقوى من صبرِه عما يضرُّه،
فيصبرُ على مشقَّةِ الطَّاعةِ ولا صبرَ له عن داعي
هواه إلى ارتكابِ ما نُهي عنه.

ومنهم من تكونُ قوَّةُ صبرِه عن المخالفاتِ
أقوى من صبرِه على مشقَّةِ الطَّاعاتِ.

ومنهم من لا صبرَ له على هذا ولا ذاك،
وأفضلُ النَّاسِ أصبرُّهم على النَّوعَيْنِ.

فكثيرٌ من النَّاسِ يصبرُ على مكابدةِ قِيَامِ اللَّيْلِ
في الحرِّ والبردِ، وعلى مشقَّةِ الصَّيَامِ، ولا يصبرُ
عن نظرةٍ محرَّمةٍ.

وكثيرٌ من النَّاسِ يصبرُ عن النَّظَرِ وعن الالتفاتِ
إلى الصُّوَرِ، ولا صبرَ له على الأمرِ بالمعروفِ
والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وجهادِ الكفارِ والمنافقين، بل
هو أضعفُ شيءٍ عن هذا وأعجزه.

وأكثرُهم لا صبرَ له على واحدٍ من الأمرَيْنِ،
وأقلُّهم أصبرُّهم في الموضعَيْنِ. وقيل: «الصَّبْرُ
ثباتُ باعِثِ الْعَقْلِ والدِّينِ في مقابلةِ باعِثِ الْهَوَى
والشَّهْوَةِ» ومعنى هذا أن الطَّبَعَ يتقاضى ما يحبُّ

وباعث العقل والدين يمنع منه، والحرب قائمةٌ بينهما وهو سجالٌ، ومحركُ هذا الحربِ قلبُ العبدِ والصَّبْرُ والشَّجَاعَةُ والثَّبَاتُ^(١).

قال يونسُ بنُ زيدٍ: سألتُ ربيعةَ بنَ أبي عبد الرحمن: ما مُنتهى الصبر؟

قال: أن يكون يومَ تُصِيبُهُ المصيبةُ، مثلَ قبل أن تُصِيبَهُ^(٢).



(١) «عدة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين»: ص ٢١، للإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قِيَم الجوزِيَّة، متوفَّى ٧٥١هـ.

(٢) «عدة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين»: ص ٩٩، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

﴿١٤﴾ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا ﴿﴾

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ

فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّى أَتَاهُمْ

نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِّكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ

الرُّسُلِينَ ﴿[الأنعام: ٣٤].﴾

قال ابن كثير: وقوله ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن

قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا

مَبْدَلَ لِّكَلِمَتِ اللَّهِ ﴿هذه تسليّة للنبي ﷺ وتعزية له

فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولو

العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نصروا،

وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من

التَّكْذِيبِ مِنْ قَوْمِهِمْ وَالْأَذَى الْبَلِغِ، ثُمَّ جَاءَهُمُ
النَّصْرُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا لَهُمُ النَّصْرُ فِي الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا
قَالَ: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: التي كتبها بالنَّصْرِ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾
وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، وَقَالَ
تَعَالَى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي:
مَنْ خَبَرَهُمْ كَيْفَ نُصِرُوا وَأُيِّدُوا عَلَى مَنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ
قَوْمِهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَسْوَةٌ وَبِهِمْ قُدْوَةٌ^(١).

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٢٩ / ٦، للإمام عماد الدين أبي
الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيَّ الدمشقيَّ،
متوفى ٧٧٤هـ..

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: إِنْ أُؤْذِيَ عَلَى مَا فَعَلَهُ اللَّهُ، أَوْ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ وَنَهَى عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ الصَّبْرُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِنْتِقَامُ، فَإِنَّهُ قَدْ أُؤْذِيَ فِي اللَّهِ، فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَهَبَتْ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ فِي اللَّهِ لَمْ تَكُنْ مَضْمُونَةً، فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - إِشْتَرَى مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَالْثَّمَنُ عَلَى اللَّهِ لَا عَلَى الْخَلْقِ، فَمَنْ طَلَبَ الثَّمَنَ مِنْهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى اللَّهِ ثَمَنٌ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ فِي اللَّهِ تَلَفُهُ كَانَ عَلَى اللَّهِ خَلْفُهُ^(١).



(١) «قَاعِدَةٌ فِي الصَّبْرِ»: ص ٧، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ تَقِيٍّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ الدَّمَشَقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مُتَوَفَى ٧٢٨ هـ.

١٥ ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

قال البغوي: أي: إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين مكذّبين ومصدّقين، ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بتعذيب المكذّبين وإنجاء المصدّقين، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(١).

(١) تفسير البغوي «معالم التنزيل»: ٢٥٧/٨، للإمام أبي محمّد الحسين بن مسعود البغوي، متوفى ٥١٦هـ.

قال ابن القيم: فكلُّ من الصَّبْرِ والشُّكْرِ داخلٌ في حقيقة الآخر لا يمكن وجوده إلا به، وإنما يُعَبَّرُ عن أحدهما باسمه الخاص به باعتبار الأغلب عليه والأظهر منه، وإلا فحقيقة الشُّكْرِ إنّما يلتئم من الصَّبْرِ والإرادة والفعل، فإنَّ الشُّكْرَ هو العمل بطاعة الله وترك معصيته، والصَّبْرُ أصلُ ذلك، فالصَّبْرُ على الطَّاعة وعن المعصية هو عينُ الشُّكْرِ، وإذا كان الصَّبْرُ مأمورًا به، فأداؤه هو الشُّكْرُ^(١).



(١) «عدة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين»: ص ١٥١، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ ١٦

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا

مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

قال السَّعْدِيُّ: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أي: أفيضْ عَلَيْنَا ﴿صَبْرًا﴾، أي: عظيمًا، كما يدلُّ عليه التَّنْكِيرُ، لأنَّ هذه محنةٌ عظيمةٌ، تؤدِّي إلى ذهابِ النَّفْسِ، فيحتاجُ فيها من الصَّبْرِ إلى شيءٍ كثيرٍ، ليثبتَ الفؤادُ، ويطمئنَّ المؤمنُ على إيمانه، ويزولَّ عنه الانزعاجُ الكثيرُ^(١).

(١) «تفسير الكريم الرَّحْمَن في تفسير كلام المنان»: ص ٣٠٠، للشيخ عبد الرَّحْمَن بن ناصر السَّعْدِي، متوفَّى ١٣٧٦هـ.

قال ابن القيم: الفرق بين الصَّبرِ والحلم: أنَّ الصَّبرَ ثمرةُ الحلمِ وموجبُهُ، فعلى قدرِ حلمِ العبدِ يكون صبرُهُ، والحلمُ في صفاتِ الرَّبِّ تعالى أوسعُ من الصَّبرِ، ولهذا جاء اسمُ الحليمِ [في القرآن] في غير موضع، ولِسَعَتِهِ يقرُنُهُ سبحانه باسمِ العليمِ، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١]،

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

وقال: فَإِنَّ المخلوقَ يحلُمُ عن جهلٍ، ويعفو عن عجزٍ، والرَّبُّ تعالى يحلُمُ مع كمالِ علمِهِ، ويعفو مع تمامِ قدرَتِهِ، وما أُضِيفَ شيءٌ إلى شيءٍ أَزِينُ مِنْ حلمٍ إلى علمٍ، ومن عفوٍ إلى اقتدارٍ، ولهذا كان في دعاءِ الكربِ وصفه سبحانه بالحلمِ مع العظيمة.

وكونُهُ حليماً من لوازمِ ذاتِهِ، وأما صبرُهُ
 سبحانه فمتعلِّقٌ بكفرِ العبادِ وشركِهِم ومَسَبَّتِهِم له
 سبحانه، وأنواعِ معاصيهِم وفجورِهِم. فلا يُزعِجُهُ
 سبحانه ذلك كُلُّهُ إلى تعجيلِ العقوبةِ، بل يصبرُ
 على عبْدِهِ ويُمهلُهُ ويستصلحُهُ ويرفُقُ به ويحلُمُ
 عنه، حتى إذا لم يبقَ فيه موضعٌ للصَّنيعةِ، ولا
 يصلحُ على الإمهالِ والرفقِ والحلمِ، ولا يُنبِئُ إلى
 ربِّهِ ويدخلُ عليه، لا من بابِ الإحسانِ والنَّعمِ، ولا
 من بابِ البلاءِ والنَّقمِ، أخَذَهُ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، بعدَ
 غايةِ الإعذارِ إليهِ، وبذلِ النَّصيحةِ له ودعائِهِ إليهِ من
 كُلِّ بابٍ.

وهذا كله من موجبِ صفةِ حلمِه، وهي صفةٌ ذاتيةٌ له لا تزولُ^(١).

قال الأصمعي: دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها رجل قبيح، فقلت لها كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله؟ فقالت: لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه، فجعلني ثوابه، ولعلي أسأت، فجعله عقوبتي^(٢).

وقال أبو الحسن المدائني، قال: دخل عمران ابن حطان على امرأته - وكان عمران قبيحًا دميمًا

(١) «عدة الصّابرين وذخيرة الشّاكرين»: ص ٥٣٣-٥٣٤، للإمام محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد شمس الدّين ابن قيّم الجوزيّة، متوفّى ٧٥١هـ.

(٢) «أحكام النساء»: للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد ابن الجوزي، المتوفّى ٥٩٧هـ.

قصيراً - وقد تزينت، وكانت امرأة حسناء، فلما نظر إليها ازدادت في عينه حسناً، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالت: ما شأنك، فقال: لقد أصبحت والله جميلة، فقالت: أبشر فإني وإياك في الجنة، قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وابتليت بمثلك فصبرت، والصابر، والشاكر في الجنة^(١).



(١) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»: ٢٩١ / ٦، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، المتوفى ٥٩٧ هـ.

١٧

﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا

بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

قال السَّعْدِيُّ: قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ موصيًا لهم في هذه الحالة، التي لا يقدرُونَ معها على شيء، ولا مقاومة بالمقاومة الإلهية، والاستعانة الربانية: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ أي: اعتمدوا عليه في جلب ما ينفعكم، ودفع ما يضرُّكم، وثقوا بالله، أَنَّهُ سَيَتَمُّ أمركم ﴿وَأَصْبِرُوا﴾ أي: الزموا الصَّبْرَ على ما يحلُّ بكم، متظرِّين للفرج.

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ ليست لفرعون ولا لقومه

حتى يتحكّموا فيها ﴿يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾
 أي: يُداولُها بين النَّاسِ على حسبِ مشيئته
 وحكمته، ولكنَّ العاقبةَ للمتّقين، فإنَّهم وإن
 امتحنوا مدةً ابتلاءٍ من الله وحكمةٍ؛ فإنَّ النَّصْرَ
 لهم، ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الحميدةُ لهم على قومهم. وهذه
 وظيفةُ العبدِ؛ أنَّه عند القدرة، أن يفعلَ من الأسبابِ
 الدَّافعة عنه أذى الغير، ما يقدرُ عليه، وعند العجزِ،
 أن يصبرَ ويستعينَ الله، ويَتَنَظَّرَ الفرجَ^(١).



(١) «تفسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٣٠٠-٣٠١، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، متوفى ١٣٧٦هـ.

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ١٨

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

قال ابن كثير: أمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا يَنكَلُوا ولا يَجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتكلموا عليه، ويسألوه النصرة على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك. فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزعروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضاً فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم وفشلهم.

﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾: أي: قوتكم ووحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال. ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: وقد كان للصَّحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بأمر الله، وامتنال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممَّن بعدهم، فإنَّهم ببركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدَّة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، من الروم والفرس والترك والصَّقالبة والبربر والجُوش وأصناف السُّودان والقبط وطوائف بني آدم؛ قهروا الجميع حتى علَّت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان،

وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمريهم إنه كريمٌ وهابٌ^(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَالِحُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حِينَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشْرَةٍ، فَجَاءَ التَّخْفِيفُ، فَقَالَ: ﴿الْفَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾، قَالَ: فَلَمَّا خَفَّفَ

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٧٢/٤، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْعِدَّةِ نَقَصَ مِنَ الصَّبْرِ بِقَدَرِ مَا خُفِّفَ عَنْهُمْ^(١).

قال ابن القيم: فالنَّصْرُ مع الصَّبْرِ، والفرجُ مع الكربِ، واليسرُ مع العسرِ، وهو أنصرُ لصاحبه من الرجالِ، بلا عدَّةٍ ولا عددٍ، ومحله من الظَّفَرِ كمحلَّ الرأسِ من الجسدِ.

ولقد ضَمَنَ الوَفِيُّ الصَّادِقُ لأَهْلِهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ أَنَّهُ يُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ مَعَهُمْ بِهَدَايَتِهِ وَنَصْرِهِ الْعَزِيزِ وَفَتْحِهِ الْمُبِينِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فَذَهَبَ الصَّابِرُونَ

(١) «صحيح البخاري»: ٤٦٥٣.

بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة، وفازوا بها
بنعمه الباطنة والظاهرة^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: فَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى حَرِّ الْهَوَاجِرِ
وَالْأَمْطَارِ وَالثَّلُوجِ وَمَشَقَّةِ الْأَسْفَارِ وَلُصُوصِ الطَّرِيقِ،
وَالْأَفْلَاحِ حَاجَةً لَهُ فِي الْمَتَاجِرِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ
النَّاسِ أَنَّ مَنْ صَدَقَ فِي طَلَبِ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِذَلِكَ
مِنَ الصَّبْرِ فِي تَحْصِيلِهِ بِقَدْرِ صِدْقِهِ فِي طَلَبِهِ^(٢).



(١) «عَدَّةُ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٥٦، للإمام
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ شَمْسِ الدِّينِ
ابْنِ قَيْمٍ الْجُوزِيَّةَ، مَتَوَفَى ٧٥١هـ.

(٢) «قَاعِدَةُ فِي الصَّبْرِ»: ص ٨، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ
تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ
الدَّمَشَقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مَتَوَفَى ٧٢٨هـ.

١٩

﴿وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ
حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

[يونس: ١٠٩].

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: واتبع يا محمد وحي الله الذي يوحى إليك وتنزيله الذي ينزله عليك، فاعمل به واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الأذى والمكارة وعلى ما نالك منهم حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعل فاضل. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ يقول: وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين. فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بدر، وقتلهم بالسيف، وأمر نبيه ﷺ

فِيَمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ أَنْ يَسْلِكَ بِهِمْ سَبِيلَ مَنْ أَهْلَكَ
مِنْهُمْ أَوْ يَتُوبُوا وَيُنِيبُوا إِلَى طَاعَتِهِ ^(١).

عن عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى
عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ:
«لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ
يَوْمَ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ
بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ
وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا
بَسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ عليه السلام
فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا

(١) تفسير الطُّبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: ٣٠٦/١٢، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطُّبري،
متوفى ٣١٠هـ.

رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكُ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَ بِمَا
 شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ
 ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ
 وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي
 بِأَمْرِكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشِينَ»
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ
 أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١).



(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣٢٣١، ومسلم ١٧٩٥،
 وابن حبان ٦٥٦١ واللفظ له، والنسائي في «السنن
 الكبرى»: ٧٦٥٩ باختلاف يسير.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ٢٠

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١].

قال الطبري: قال تعالى ذِكْرُهُ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَأْتِيهِمْ شِدَّةٌ
مِنَ الدُّنْيَا وَعُسْرَةٌ فِيهَا، لَمْ يَتَّخِذُوا ذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ
اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ صَبَرُوا لِأَمْرِهِ وَقَضَائِهِ. فَإِنْ نَالُوا فِيهَا
رِخَاءً وَسَعَةً، شَكَرُوا وَأَدَّوْا حَقَّقَهُ بِمَا آتَاهُمْ مِنْهَا.
يَقُولُ اللَّهُ: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ يَغْفِرُهَا لَهُمْ،
وَلَا يَفْضَحُهُمْ بِهَا فِي مَعَادِهِمْ، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾،
يَقُولُ: وَلَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَعَ مَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِمْ، ثَوَابٌ عَلَى

أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي عَمَلُوهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا،
جَزِيلٌ، وَجَزَاءٌ عَظِيمٌ^(١).

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ هُودٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ:
﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾
[هود: ٥٢].

عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ: أَنَّ نَاسًا مِنْ
الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ
فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفَدَ مَا
عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ

(١) تفسير الطَّبْرِي «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»:
١٠/٧، للإمام أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطَّبْرِي،
متوفى ٣١٠هـ.

عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ
اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً
خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

قال ابن بطال: أرفع الصَّابرين منزلةً عند الله مَنْ
صَبَرَ عن مَحَارِمِ اللَّهِ، وَصَبَرَ على العملِ بطاعةِ اللَّهِ،
وَمَنْ فعلَ ذلك فهو من خالصِ عبادِ اللَّهِ وصفوته،
ألا ترى قوله ﷺ: «لَنْ تَعْطُوا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ
الصَّبْرِ»^(٢).



(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٠٥٣.

(٢) «شرح صحيح البخاري»: ١٠/١٨٢، لأبي الحسن علي
ابن خلف بن عبد الملك المعروف بابن بطال.

﴿فَاصِرٌ إِنَّ الْعِقَبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٢١

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ
وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصِرٌ إِنَّ الْعِقَبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

قال ابن كثير: يقول تعالى لنبيه [ورسوله
محمد] ﷺ: هذه القصّة وأشباهها ﴿مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ﴾ يعني: من أخبار الغيوب السّالفة نوحيتها
إليك على وجهها كأنك شاهدتها، ﴿نُوحِيهَا
إِلَيْكَ﴾ أي: نعلمك بها وحيًا منّا إليك، ﴿مَا
كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾
أي: لم يكن عندك ولا عند أحدٍ من قومك علمٌ

بها، حتى يقول مَنْ يكذبُكَ: إِنَّكَ تَعَلَّمْتَهَا مِنْهُ، بل أخبرَكَ اللهُ بها مطابقةً لِمَا كان عليه الأمرُ الصحيحُ، كما تشهدُ به كتبُ الأنبياءِ قبْلَكَ، فاصبرْ على تكذيبِ مَنْ كذبَكَ من قومِكَ وأذاهم لك، فَإِنَّا سننصرُكَ ونحوطُكَ بعنايتنا، ونجعلُ العاقبةَ لك ولأتباعِكَ في الدنيا والآخرة، كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ۝٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ [غافر: ٥١-٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥].

قال عون بن عبد الله: الخير الذي لا شرَّ معه:
الشكرُ مع العافية، والصبرُ مع المصيبة^(٢).



(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٤٤٧/٧، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

(٢) «تسلية اهل المصائب»: ص ١٧، لأبي عبد الله محمد ابن محمد المنبجي الحنبلي.

قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾
[يوسف: ١٨].

قال ابنُ تيمية: لهذا كانت محنةُ يوسف عليه السلام بالنسوةِ وامرأةِ العزيز، واختياره السَّجْنَ على معصيةِ الله، أعظمَ من إيمانه، ودرجته عند الله وأجره من صبره على ظلمِ إخوته له؛ ولهذا يعظمُ يوسفُ بهذا أعظمَ مما يعظمُ بذلك؛ ولهذا قال تعالى فيه: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ

عِبَادَنَا الْمُخْلِصِينَ ﴿يوسف: ٢٤﴾.

وهذا كالصَّبْرِ عَنِ الْمَعَاصِي مع الصَّبْرِ عَلَى
المصائبِ، فالأوَّلُ أعظمُ وهو صَبْرُ الْمُتَّقِينَ أَوْلِيَاءِ
اللهِ. قال سهلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيِّ: أفعالُ البرِّ يفعلُهَا
البرُّ والفاجرُ، وَلَنْ يَصْبِرَ عَنِ الْمَعَاصِي إِلَّا صَدِيقٌ،
ويوسفُ - صلواتُ اللهِ عليه - كان صَدِيقًا نَبِيًّا. وَأَمَّا
مَنْ يُظْلَمُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ وَيَصْبِرُ فَعَذَا كَثِيرٌ، وَمَنْ لَمْ
يَصْبِرْ صَبَرَ الْكِرَامِ سَلَا سَلَوَ الْبَهَائِمِ، وَكَذَلِكَ إِذَا
مُكِّنَ الْمَظْلُومُ وَقَهَرَ ظَالِمُهُ فَتَابَ الظَّالِمُ وَخَضَعَ
لَهُ، فَعَفُوهُ عَنْهُ مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْفَضَائِلِ، لَكِنْ هَذَا
يَفْعَلُهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَعُقْلَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ
حِلْمَ الْمُلُوكِ وَالْوَلَاةِ أَجْمَعَ لِأَمْرِهِمْ وَطَاعَةِ النَّاسِ
لَهُمْ وَتَأْلِيفِهِمْ لِقُلُوبِ النَّاسِ.

وقال: أَمَّا الصَّبْرُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَالْهَوَى
 الغالبِ لِلَّهِ، لَا رَجَاءَ لِمَخْلُوقٍ وَلَا خَوْفًا مِنْهُ،
 مع كثرة الدَّوَاعِي إِلَى فِعْلِ الْفَاحِشَةِ، واختياره
 الحبس الطَّوِيلَ عَلَى ذَلِكَ كَمَا قَالَ يُوسُفُ: ﴿رَبِّ
 السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]؛ فهذا
 لَا يَوْجَدُ نَظِيرُهُ إِلَّا فِي خِيَارِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ،
 وَأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ
 لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
 الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، فهذا مِنْ عِبَادِ
 اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿إِنَّ
 عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]،
 وَلِهَذَا لَمْ يُصَدَرْ يُوسُفُ الصَّدِيقُ ذَنْبًا أَصْلًا، بَلِ
 الْهَمُّ الَّذِي هَمَّ بِهِ لَمَّا تَرَكَهُ اللَّهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ حَسَنَةٌ؛

ولهذا لم يذكر عنه سبحانه توبةً واستغفاراً، كما ذكر توبة الأنبياء كآدم وداود ونوح وغيرهم، وإن لم يذكر عن أولئك الأنبياء فاحشةً ولله الحمد، وإنما كانت توباتهم من أمورٍ آخرٍ هي حسناتٌ بالنسبة إلى غيرهم؛ ولهذا لا يعرف ليوسف نظيرٌ فيما ابتلي به من دواعي الفاحشة وتقواه وصبره في ذلك، وإنما يعرف لغيره ما هو دون ذلك، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي

أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا صَنَعْتَ يَمِينُهُ»^(١).

وَإِذَا كَانَ الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى لئَلَّا يَفْعَلَ
الْفَاحِشَةَ أَعْظَمَ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى ظُلْمِ إِخْوَتِهِ،
فَكَيْفَ بِصَبْرِ الرُّسُلِ عَلَى أَذَى الْمَكْذِبِينَ لئَلَّا
يَتْرَكُوا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
وَحَدَهُ، وَأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ؟!
فَهَذَا الصَّبْرُ هُوَ مِنْ جَنْسِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِذْ
كَانَ الْجِهَادُ مَقْصُودًا بِهِ: أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ
الْعُلْيَا وَأَنَّ الدِّينَ كُلَّهُ لِلَّهِ، فَالْجِهَادُ وَالصَّبْرُ فِيهِ
أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأْسُ الْأَمْرِ
الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٦٨٠٦، ومسلم ١٠٣١.

في سبيل الله» وهو حديثٌ صحيحٌ رواه الإمام أحمدُ والترمذيُّ وصحَّحه، وهو من حديثِ معاذِ بنِ جبلِ الطَّويلِ، وهو أحبُّ الأعمالِ إلى الله.

فالصَّبْرُ على تلك المعصية صبرُ المهاجرِ الذي هجرَ ما نهى عنه، وصبرُ المجاهدِ الذي جاهدَ نفسه في الله وجاهدَ عدوَّ الله الظَّاهرَ والباطنَ، والمهاجرُ الصَّابرُ على تركِ الذَّنْبِ إِنَّمَا جاهدَ نفسه وشيطانه، ثمَّ يجاهدُ عدوَّ الله الظَّاهرَ؛ لتكونَ كلمةُ الله هي العُليا ويكونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله، صبرَ المظلومِ وصبرَ المصابِ^(١).

(١) «مجموع الفتاوى»: ١٧/١٧-١٨، لشيخ الإسلام تقي الدِّين أبي العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ ؓ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرْتُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقَنِي، وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] ^(١).

قال ابن القيم: الصبر نوعان: اختياري، واضطراري. والاختياري أكمل من الاضطراري؛

(١) «صحيح البخاري»: ٢٦٦١.

فَإِنَّ الْاضْطِرَارِيَّ يَشْتَرِكُ فِيهِ النَّاسُ وَيَتَأْتِي مِمَّنْ لَا
يَتَأْتِي مِنْهُ الصَّبْرُ اخْتِيَارًا، وَلِذَلِكَ كَانَ صَبْرُ يُوسُفَ
الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَطَاوَعَتِهِ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ، وَصَبْرُهُ عَلَى
مَا نَالَهُ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْحَبْسِ وَالْمَكْرُوهِ، أَعْظَمَ مِنْ
صَبْرِهِ عَلَى مَا نَالَهُ مِنْ إِخْوَتِهِ لَمَّا أَلْقَوْهُ فِي الْجُبِّ
وَفَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ وَبَاعُوهُ بَيْعَ الْعَبِيدِ ^(١).



(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٥٩، للإمام
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدٍ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ قَيْمٍ
الْجَوْزِيَّةَ، مِتُوفَى ٧٥١هـ.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾

قال الله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
 أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَن
 يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
 [يوسف: ٨٣].

قال البغوي: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾ زَيَّنَتْ
 ﴿أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ وفيه اختصارٌ معناه: فَرَجَعُوا
 إِلَىٰ أَبِيهِمْ وَذَكَرُوا لِأَبِيهِمْ مَا قَالَ كَبِيرُهُمْ، فَقَالَ
 يَعْقُوبُ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾،
 أَي: حَمَلَ أَخِيكُمْ إِلَىٰ مِصْرَ لَطَلَبِ نَفْعٍ عاجل.
 ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ
 جَمِيعًا﴾ يعني: يوسفَ وَبَنِيَامِينَ وَأَخَاهُم المقيم

بمصرَ. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بِحُزْنِي وَوَجْدِي عَلَى
فَقْدِهِمْ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ ^(١).

وقال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَيْنَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا يُونُسُ
قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
إِنَّهُ مِن يَتَّى وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

قال السَّعْدِيُّ: فَعَرَفُوا أَنَّ الَّذِي خَاطَبَهُمْ هُوَ
يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالُوا: ﴿أَيْنَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا يُونُسُ
قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾
بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى وَالتَّمَكِينِ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ
بِسَبَبِ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى، ﴿إِنَّهُ مِن يَتَّى وَيَصِيرُ﴾

(١) تفسير البغوي «معالم التنزيل»: ٢٦٧/١٣، للإمام أبي
محمد الحسين بن مسعود البغوي، متوفى ٥١٦هـ.

أي: يَتَّقِي فعلَ ما حَرَّمَ اللهُ، وَيَصْبِرُ على الآلامِ والمصائبِ، وعلى الأوامرِ بامثالِها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٩) فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْإِحْسَانِ، وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا^(١).

قال ابنُ القيم: وأخبرَ عن نبيِّه يوسفَ الصِّدِّيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ صَبْرَهُ وَتَقْوَاهُ وَصَلَاهُ إِلَى محلِّ العِزِّ والتَّكِينِ، فقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، وَعَلَّقَ الفلاحَ بالصَّبْرِ والتَّقْوَى، ففعلَ ذلكَ عنه المؤمنونَ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) «تفسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٤٠٤، للشيخ عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي، متوفَّى ١٣٧٦هـ.

أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُقْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وأخبر عن محبته لأهله، وفي ذلك أعظم
ترغيب للراغبين، فقال تعالى ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ
الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٦﴾ ولقد بشر الصابرين بثلاث، كل منها
خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون، فقال تعالى:
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

[البقرة: ١٥٥-١٥٧].

ووصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على

نوائب الدنيا والدين، فقال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

وَالصَّلَاةَ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ [البقرة: ٤٥].

وَجَعَلَ الْفُوزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ لَا يَحْطَى

به إِلَّا الصَّابِرُونَ، فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا

صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١].

وَأَخْبَرَ أَنَّ الرَّغْبَةَ فِي ثَوَابِهِ وَالْإِعْرَاضَ عَنِ

الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا لَا يَلْقَاهَا إِلَّا أُولُو الصَّبْرِ الْمُؤْمِنُونَ،

فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ

اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا

الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ دَفْعَ السَّيِّئَةِ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ

تَجْعَلُ الْمُسِيءَ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، فقال: ﴿وَلَا

تَسَوَّى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ ﴿فصلت: ٣٤﴾.

وَأَنَّ هَذِهِ الْخَصْلَةَ لَا يَلْقَاهَا ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا
الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُونَ حَظِّ عَظِيمٍ﴾
﴿فصلت: ٣٥﴾^(١).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: إِنَّ يَعْقُوبَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨، ٨٣]
وَرَسُولُ اللَّهِ إِذَا وَعَدَ وَفَى، ثُمَّ حَمَلَهُ الْوَجْدُ عَلَى
يُوسُفَ وَالشَّوْقُ إِلَيْهِ أَنْ قَالَ: ﴿يَا أَسْفَى عَلَى

(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٦٧، للإمام
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدٍ شَمْسُ الدِّينِ
ابْنُ قَيِّمٍ الْجُوزِيَّةَ، مَتَوَفَى ٧٥١هـ.

يُوسُفَ ﴿يوسف: ٨٤﴾ فلم يكن عدم صبره عنه منافياً لقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ هو الذي لا شكوى معه، ولا تُنافيه الشكوى إلى الله، فإنه قد قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] والله سبحانه أمر رسوله بالصبر الجميل، وقد امتثل ما أمر به وقال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي»^(١).

وقال: الشكوى نوعان: أحدهما: الشكوى إلى الله، فهذا لا يُنافي الصبر، كما قال يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام:

﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]

(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٩٢ ٩٣، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

مع قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨، ٨٣] (١).

وَالصَّبْرُ عَنِ الشَّهْوَةِ أَسْهَلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى مَا
تَوَجَّبَهُ الشَّهْوَةُ، كَمَا قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ تَقِي الدِّينِ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: فَإِلْإِنْسَانُ مَنْ إِذَا غَلَبَ صَبْرُهُ
بَاعَتْهُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ التَّحَقَّ بِالْمَلَائِكَةِ، وَإِنْ غَلَبَ
بَاعَتْهُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ صَبْرَهُ التَّحَقَّ بِالشَّيَاطِينِ،
وَإِنْ غَلَبَ بَاعَتْهُ طَبْعُهُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالْجَمَاعِ
صَبْرَهُ التَّحَقَّ بِالْبَهَائِمِ (٢).

(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٢٤، للإمام
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ شَمْسِ الدِّينِ
ابْنِ قَيِّمٍ الْجَوْزِيَّة، متوفى ٧٥١هـ.

(٢) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٣٧، للإمام
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ شَمْسِ الدِّينِ
ابْنِ قَيِّمٍ الْجَوْزِيَّة، متوفى ٧٥١هـ.

عن مسروق بن الأجدع قال: حدّثني أمُّ رومانَ وهي أمُّ عائشة قالت: بينا أنا وعائشة أخذتُها الحُمى، فقال النبي ﷺ: لَعَلَّ في حَدِيثٍ تُحَدِّثُ؟ قالت: نَعَمْ، وَقَعَدْتُ عَائِشَةَ، قالت: مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَيَعْقُوبَ وَبَنِيهِ، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١).

فلا تشكُّ إلى غيرِ الله، فكلُّ الأمورِ بيده وحده، وإنَّ الكاشفَ هو اللهُ، وبثُّ الحزنِ والشَّكوى إلى غيرِ الله ينقصُ من ثوابِ الصَّبرِ.

قال ابنُ تيمية: إنَّ اللهَ أمرَ نبيِّه بالهجرِ الجميلِ، والصَّفحِ الجميلِ، والصَّبرِ الجميلِ.

فالهجرُ الجميلُ هجرٌ بلا أذى، والصَّفْحُ
الجميلُ صفْحٌ بلا عتابٍ، والصَّبْرُ الجميلُ صبرٌ
بلا شكوى، قال يعقوبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا
أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]
مع قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا
تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، فالشكوى إلى الله لا
تُنافي الصَّبْرَ الجميلَ.

ويُروى عن موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمَشْتَكَى، وَأَنْتَ
الْمُسْتَعَانُ، وَبِكَ الْمُسْتَغَاثُ، وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ»^(١).

(١) «مجموع الفتاوى»: ٣٢٩/٦، لشيخ الإسلام تقي الدين
أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:
«مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ» ^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وَإِذَا رَأَيْتَ الْعَبْدَ يَقَعُ فِي النَّاسِ إِذَا
 أَذَوْهُ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ بِاللَّوْمِ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَاعْلَمْ
 أَنَّ مُصِيبَتَهُ مُصِيبَةٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَإِذَا تَابَ وَاسْتَغْفَرَ، وَقَالَ:
 هَذَا بِذُنُوبِي، صَارَتْ فِي حَقِّهِ نِعْمَةً ^(٢).



(١) أخرجه الترمذي ٣٣٧٣، واللفظ له، وابن ماجه ٣٨٢٧،
 وأحمد ٩٧١٩.

(٢) «قَاعِدَةٌ فِي الصَّبْرِ»: ص ٥، لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ
 تَقِيٍّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ
 الدَّمَشْقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مُتَوَفَى ٧٢٨هـ.

٢٤

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

قال ابن القيم: فإن قيل: فأي أنواع الصبر الثلاثة أكمل: الصبر على المأمور، أم الصبر عن المحذور، أم الصبر على المقدور؟

قيل: الصبر المتعلق بالتكليف وهو: الأمر والنهي أفضل من الصبر على مجرد القدر؛ فإن هذا الصبر يأتي به البر والفاجر، والمؤمن والكافر،

فلا بدّ لكلّ أحدٍ من الصَّبْرِ على القدرِ اختيارًا أو اضطرارًا، وأمّا الصَّبْرُ على الأوامرِ والنّواهي فصَبْرُ أتباعِ الرُّسلِ، وأعظّمُهم اتِّباعًا أصبَرُهم في ذلك. وكلُّ صبرٍ في محلّه وموضعه أفضل؛ فالصَّبْرُ عن الحرامِ في محلّه أفضل، والصَّبْرُ على الطّاعةِ في محلّها أفضل.

فإن قيل: فأَيُّ الصَّبرين أحبُّ إلى الله: صبرٌ من يصبرُ على أوامره، أم صبرٌ مَنْ يصبرُ عن محارمه؟ قيل: هذا موضعٌ تنازعٌ فيه النّاسُ.

فقال طائفةٌ: الصَّبْرُ عن المخالفاتِ أفضل؛ لأنّه أشقُّ وأصعبُ، فإنَّ أعمالَ البرِّ يفعلُها البرُّ والفاجرُ، ولا يصبرُ عن المخالفاتِ إلا الصّديقون.

قالوا: وَإِنَّ الصَّبْرَ عَنِ المحَرَّمَاتِ صَبْرٌ عَلَى مخالفةِ هَوَى النَّفْسِ، وهو أَشَقُّ شَيْءٍ وَأَفْضَلُهُ.

قالوا: وَإِنَّ تَرْكَ المحبوبِ الذي تحبُّه النفوسُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ تَرَكَ لِأَجْلِهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وهَوَاهُ، بخلافِ فَعَلٍ ما يحبُّه المحبوبُ فَإِنَّهُ لَا يستلزمُ ذلك.

قالوا: وَأَيْضًا فالمروءَةُ والفتوةُ كُلُّهُمَا فِي هَذَا الصَّبْرِ؛ كما قال الإمامُ أحمدُ: «الفتوةُ تَرْكُ ما تَهْوَى لما تخشى»، فمروءَةُ العبدِ وفتوتهُ بحسبِ هَذَا الصَّبْرِ.

قالوا: وَلَيْسَ العَجَبُ مِمَّنْ يَصْبِرُ عَلَى الأوامِرِ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا محبوباتٌ لِلنُّفُوسِ لِمَا فِيهَا مِنَ العَدْلِ

والإحسانِ والإخلاصِ والبرِّ، وهذه محابُّ
النُّفوسِ الفاضلةِ الزَّكِيَّةِ، بلِ العجبُ ممَّن يصبرُ
عن المناهي التي أكثرها محابُّ النُّفوسِ، فيتركُ
المحبوبَ العاجلَ في هذه الدَّارِ للمحبوبِ الآجلِ
في دارٍ أخرى، والنَّفْسُ موكلَةٌ بحبِّ العاجلِ،
فصبرُها عنه مخالفٌ لطبعها.

قالوا: وإنَّ المناهي لها أربعةٌ دواعٍ تدعو إليها:
نفسُ الإنسانِ، وشيطانه، وهواه، ودُّنياهُ، فلا يتركُها
حتى يجاهدَ هذه الأربعةَ حقَّ الجهادِ، وذلك أشقُّ
شيءٍ على النَّفسِ وأمرُّه.

قالوا: فالمناهي من بابِ حِمِيَةِ النُّفوسِ عن

مُشْتَهَاتِهَا وَلَذَاتِهَا، وَالْحَمِيَّةُ مَعَ قِيَامِ دَاعِي التَّنَاوُلِ وَقُوَّتِهِ مِنْ أَصْعَبِ شَيْءٍ وَأَشَقُّهُ ^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: إِنَّ صَبْرَهُ عَلَى مَنْ آذَاهُ وَاحْتِمَالَهُ لَهُ يُوجِبُ رُجُوعَ خَصْمِهِ عَنْ ظُلْمِهِ، وَنَدَامَتَهُ وَاعْتِدَارَهُ، وَلَوْمَ النَّاسِ لَهُ، فَيَعُودَ بَعْدَ إِيْذَانِهِ لَهُ مُسْتَحِيًّا مِنْهُ نَادِمًا عَلَى مَا فَعَلَهُ ^(٢).



(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٦٤-٦٥، للإمام مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ قَيْمٍ الْجُوزِيَّةَ، مَتَوَفَى ٧٥١هـ.

(٢) «قَاعِدَةُ فِي الصَّبْرِ»: ص ٩، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ الدَّمَشْقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مَتَوَفَى ٧٢٨هـ.

﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾

٢٥

قال الله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ

عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

قال ابن كثير: يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّنِ اتَّصَفَ

بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، بِأَنَّ لَهُمْ ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾

وَهِيَ الْعَاقِبَةُ وَالنُّصْرَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ^(١).

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا

لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٤/ ٤٥٠، للإمام عماد الدين

أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،

متوفى ٧٧٤هـ.

لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ
أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١).

وعن عكرمة، عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنه قال:
لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَحْزَنُ وَيَفْرَحُ، وَلَكِنْ مَنْ جَعَلَ
الْمُصِيبَةَ صَبْرًا، وَجَعَلَ الْخَيْرَ شُكْرًا^(٢).

عن جعفر بن سليمان قال: كانت امرأة من
العابدات بالبصرة تُصابُ بالمصيبة العظيمة
فلا تجزغُ، فقليل لها في ذلك؛ فقالت: ما أُصابُ

(١) «صحيح مسلم»: ٢٩٩٩.

(٢) «المصنف»: ص ٢٦٩، الرقم: ٣٥٧٩٦، للإمام الحافظ
أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة،
متوفى ٢٣٥هـ.

بمصيبةٍ فأذكرُ معها النَّارَ؛ إِلَّا صَارَتْ فِي عَيْنِي
أَصْغَرَ مِنَ التَّرَابِ ^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ الصَّبْرَ نِصْفُ
الْإِيمَانِ، فَلَا يُبَدَّلُ مِنْ إِيْمَانِهِ جَزَاءً فِي نُصْرَةِ نَفْسِهِ،
فَإِنْ صَبَرَ فَقَدْ أَحْرَزَ إِيْمَانَهُ، وَصَانَهُ مِنَ النَّقْصِ وَاللَّهِ
- تَعَالَى - يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ^(٢).



(١) «المجالسة جواهر العلم»: ٧٧ / ٣، تصنيف: أحمد بن
مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، متوفى
٣٣٣هـ.

(٢) «قَاعِدَةُ فِي الصَّبْرِ»: ص ٨، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ
تَقِيٍّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ
الدَّمَشَقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مُتَوَفَى ٧٢٨هـ.

﴿وَلَنَصِيرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُمُونَا﴾ ٢٦

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾
[إبراهيم: ١٢].

قال ابن كثير: قالت الرُّسُلُ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: وما يمنعنا من التَّوَكُّلِ عليه، وقد هَدَانَا لِأَقْوَمِ الطَّرِيقِ وأَوْضَحِهَا وَأَبَيَّنَهَا،
﴿وَلَنَصِيرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُمُونَا﴾

أي: من الكلامِ السيِّئِ، والأفْعَالِ السَّخِيفَةِ

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١).

وقال السَّعْدِيُّ: فَعُلِمَ بهذا وجوبُ التَّوَكُّلِ،
وأنَّهُ من لوازمِ الإيمانِ، ومن العباداتِ الكبارِ
الَّتِي يحِبُّها اللهُ ويرضاها، لتوقُّفِ سائرِ العباداتِ
عليه، ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا
سُبُلَنَا﴾. أي: أيُّ شيءٍ يَمْنَعُنَا من التَّوَكُّلِ على اللهِ،
والحالُ أنَّا على الحقِّ والهدى، ومَنْ كان على
الحقِّ والهدى، فإنَّ هُداه يوجبُ له تمامَ التَّوَكُّلِ،
وكذلك ما يُعَلِّمُ من أنَّ اللهَ متكفِّلٌ بمَعُونَةِ المهتدي
وكفائيته، يدعو إلى ذلك، بخلافِ مَنْ لم يكن على

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ١٨٤ / ٨، للإمام عماد الدِّين
أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيَّ الدَّمَشَقِيُّ،
متوفى ٧٧٤هـ.

الحقَّ والهدى، فإنه ليس ضامناً على الله، فإنَّ حاله مناقضةٌ لحالِ المتوكِّل.

وفي هذا إشارةٌ من الرُّسلِ عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ لقومِهِم، بآيةٍ عظيمةٍ، وهو أنَّ قومَهُم في الغالبِ لهم القهْرُ والغلبةُ عليهم، فتحدَّتْهم رسلُهُم بأنَّهم متوكِّلون على الله، في دفعِ كيدهم ومكرِهِم، وجازمون بكفايته إِيَّاهم، وقد كفاهمُ اللهُ شرَّهم مع حرصِهِم على إتلافِهِم وإطفاءِ ما معهم من الحقِّ، فيكون هذا كقولِ نوحٍ لقومه:

﴿يَقَوْمُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي
بِأَيَّتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ

وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ ﴿٧١﴾ الْآيَات.

وقول هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا
أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا
ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿وَلَتَصِيرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ أي: ولنستمرنَّ
على دعوتكم ووعظكم وتذكيركم، ولا نبالي بما
يأتينا منكم من الأذى، فإنَّا سنوطنُ أنفسنا على
ما ينالنا منكم من الأذى، احتسابًا للأجر ونصحًا
لكم، لعلَّ الله أن يهديكم مع كثرة التذكير.

﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ وحده لا على غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ فَإِنَّ التَّوَكَّلَ عَلَيْهِ مِفْتَاحٌ لِكُلِّ

خَيْرٍ.

واعلم أنَّ الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
تَوَكَّلُهم فِي أَعْلَى الْمَطَالِبِ وَأَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ،
وَهُوَ التَّوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فِي إِقَامَةِ دِينِهِ وَنَصْرِهِ، وَهَدَايَةِ
عَبِيدِهِ، وَإِزَالَةِ الضَّلَالِ عَنْهُمْ، وَهَذَا أَكْمَلُ مَا يَكُونُ
مِنَ التَّوَكَّلِ ^(١).



(١) «تفسير الكريم الرَّحْمَنُ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَانِ»: ص ٤٢٣، لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ، مِتَوَفَّى ١٣٧٦ هـ.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ ٢٧

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ
لَهَدَيْتَكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا
مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

قال ابنُ أبي حاتم، عن ابنِ زيد بنِ أسلم رضي الله عنه
في الآية: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعَالَوْا
نَبْكُ وَنَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّمَا أَدْرَكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ
الْجَنَّةَ بِبَكَائِهِمْ وَتَضَرُّعِهِمْ إِلَى اللَّهِ، فَبَكَوْا، فَلَمَّا رَأَوْا
ذَلِكَ لَا يَنْفَعُهُمْ قَالُوا: تَعَالَوْا نَصْبِرْ، فَإِنَّمَا أَدْرَكَ أَهْلُ
الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ بِالصَّبْرِ، فَصَبَرُوا صَبْرًا لَمْ يَرِ مِثْلُهُ،
فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا

أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١١﴾ ﴿١﴾.

قال ابن القيم: قيل: الصَّبْرُ شجاعةُ النفسِ،
ومن ها هنا أخذ القائلُ قوله: الشَّجَاعَةُ صَبْرُ سَاعَةٍ،
وقيل: الصَّبْرُ ثباتُ القلبِ عندِ مواردِ الاضطرابِ،
والصَّبْرُ والجزعُ ضدَّانِ، ولهذا يقابِلُ أحدهما
بالآخر، وقال تعالى عن أهلِ النَّارِ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا
أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ ﴿١١﴾ ﴿٢﴾.

والجزعُ قرينُ العجزِ وشقيقه، والصَّبْرُ قرينُ
الكَيْسِ ومادته، فلو سئلَ الجزعُ: مَنْ أبوك؟ لقالَ:
العجزُ، ولو سئلَ الكَيْسُ: مَنْ أبوك؟ لقالَ: الصَّبْرُ،

(١) «تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين»: ١/ ٢٢٤٠، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، متوفى ٣٢٧هـ.

وَالنَّفْسُ مَطِيَّةُ الْعَبْدِ الَّتِي يَسِيرُ عَلَيْهَا إِلَى الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ.
وَالصَّبْرُ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الْخَطَامِ وَالزَّمَامِ لِلْمَطِيَّةِ، فَإِنْ لَمْ
يَكُنْ لِلْمَطِيَّةِ خَطَامٌ وَلَا زَمَامٌ شَرَدَتْ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(٢).

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-
يَقُولُ: الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَأَعْظَمُ أَعْمَالِهِ فِي
السَّجْنِ الصَّبْرُ، وَكُظْمُ الْغَيْظِ، وَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ فِي

(١) «عَدَّةُ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٣١، للإمام
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ شَمْسِ الدِّينِ
ابْنِ قَيِّمٍ الْجَوْزِيَّةَ، مَتَوَفَّى ٧٥١هـ.

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: ٢٩٥٦.

الدُّنْيَا دَوْلَةً، وَإِنَّمَا دَوْلَتُهُ غَدًا فِي الْآخِرَةِ^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: رُبَّمَا كَانَ إِنْتِقَامُهُ وَمَقَابَلَتُهُ سَبَبًا لِّزِيَادَةِ شَرِّ خَصْمِهِ، وَقُوَّةِ نَفْسِهِ، وَفِكْرَتِهِ فِي أَنْوَاعِ الْأَذَى الَّتِي يُوصِلُهَا إِلَيْهِ، كَمَا هُوَ الْمُشَاهَدُ، فَإِذَا صَبَرَ وَعَفَى أَمِنَ مِنْ هَذَا الضَّرَرِ، وَالْعَاقِلُ لَا يَخْتَارُ أَعْظَمَ الضَّرَرَيْنِ بِدَفْعِ أَدْنَاهُمَا، وَكَمْ قَدْ جَلَبَ الْإِنْتِقَامُ وَالْمُقَابَلَةُ مِنْ شَرِّ عَجَزَ صَاحِبُهُ عَنْ دَفْعِهِ، وَكَمْ قَدْ ذَهَبَتْ نَفُوسٌ وَرِئَاسَاتٌ وَأَمْوَالٌ لَوْ عَفَى الْمَظْلُومُ لَبَقِيَتْ عَلَيْهِ^(٢).

(١) «تنبيه المغترين أو آخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر»: ص ١٠٩، تأليف: القطب أبي المواهب عبد الوهاب ابن أحمد بن علي الشافعي الشعراني، متوفى ٩٧٣هـ.

(٢) «قاعدة في الصبر»: ص ٩، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.

٢٨

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

[النحل: ٤٢]

قال الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

قال الطَّبْرِيُّ: يقولُ تعالى ذِكْرُهُ: وَلِشِبِّهِ اللَّهِ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، ثَوَابَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صَبْرِهِمْ عَلَيْهَا، وَمَسَارَعَتِهِمْ فِي رِضَاهُ، بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ دُونَ أَسْوئِهَا، وَلِيُغْفِرَنَّ اللَّهُ لَهُمْ سَيِّئَهَا بِفَضْلِهِ^(١).

(١) تفسير الطَّبْرِيِّ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام أبي جعفر محمد ابن جرير الطَّبْرِيِّ، متوفى ٣١٠هـ.

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، أنَّ
النبي ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا
نَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى
الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ مِنْ خَطَايَاهُ»^(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: إِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ ﷻ يَسْهُلُ الصَّعْبَ،
وَيَسِّرُ الْعَسِيرَ، وَيَخَفِّفُ الْمَشَاقَّ، فَمَا ذُكِرَ اللَّهُ ﷻ
عَلَى صَعْبٍ إِلَّا هَانَ، وَلَا عَلَى عَسِيرٍ إِلَّا تيسَّرَ،
وَلَا مَشَقَّةٍ إِلَّا خَفَّتْ، وَلَا شِدَّةٍ إِلَّا زَالَتْ، وَلَا
كُرْبَةً إِلَّا انْفَرَجَتْ، فَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْفَرْجُ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٥٦٤١، ومسلم ٢٥٧٣،
والترمذي ٩٦٦، وأحمد ١١٤٥٠ واللفظ له.

بَعْدَ الشَّدَّةِ، وَالْيَسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ، وَالْفَرْجُ بَعْدَ الْغَمِّ
وَالْهَمُّ (١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَنِ الصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ حَتَّى
يَفْعَلَهَا: فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَكَادُ يَفْعَلُ الْمَأْمُورَ بِهِ إِلَّا
بَعْدَ صَبْرٍ وَمُصَابَرَةٍ، وَمُجَاهَدَةٍ لِعَدُوِّهِ الظَّاهِرِ
وَالْبَاطِنِ، فَبِحَسَبِ هَذَا الصَّبْرِ يَكُونُ أَدَاؤُهُ
لِلْمَأْمُورَاتِ وَفِعْلُهُ لِلْمُسْتَحَبَّاتِ (٢).



(١) «الوابل الصَّيْبُ مِنَ الْكَلَامِ الطَّيِّبِ»: ص ٥٧، لِلْإِمَامِ
مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَثُوبَ بْنِ سَعْدِ شَمْسِ الدِّينِ
ابْنِ قَيْمٍ الْجُوزِيَّةِ، مَتَوَفَى ٧٥١هـ.

(٢) «قَاعِدَةُ فِي الصَّبْرِ»: ص ٢-٣، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ
تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ
الدَّمَشَقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مَتَوَفَى ٧٢٨هـ..

﴿ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا﴾ ٢٩

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ
هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهِدُوا
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

قال الطَّبْرِيُّ: يقولُ تعالى ذِكْرُهُ: ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
يا مُحَمَّدٌ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ
وَعَشَائِرِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَانْتَقَلُوا عَنْهُمْ إِلَى دِيَارِ
أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَمَسَاكِينِهِمْ وَأَهْلِ وَلَايَتِهِمْ، مِنْ بَعْدِ
مَا فَتَنَهُمُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ قَبْلَ

هَجَرْتَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، ثُمَّ جَاهَدُوا الْمَشْرِكِينَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيْدِيهِمْ بِالسَّيْفِ وَبِالْسُّتَيْهِم بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ، وَمِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَصَبَرُوا عَلَى جِهَادِهِمْ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٥٣) يَقُولُ: إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِ فَعَلْتَهُمْ هَذِهِ لَهُمْ لَغَفُورٌ، يَقُولُ: لَذُو سِتْرٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الْمَشْرِكِينَ مَا أَرَادُوا مِنْهُمْ مِنْ كَلِمَةِ الْكُفْرِ بِالْأَلْسِنَةِ، وَهُمْ لَغَيْرِهَا مُضْمِرُونَ، وَلِلْإِيمَانِ مُعْتَقِدُونَ، رَحِيمٌ بِهِمْ أَنْ يِعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا مَعَ إِنْابَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ وَتَوْبَتِهِمْ^(١).

قال ابن القيم - للذين أفلسوا من الصبر كيف

(١) تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، متوفى ٣١٠هـ..

أَنَّ الشَّيْطَانَ يَصِيرُ عَلَيْهِمْ لَعْدَمَ صَبْرِهِمْ - : أَن يَصِيرَ
الشَّيْطَانُ مِنْ جَنْدِهِ، وَهَذِهِ حَالُ الْفَاجِرِ الْقَوِيِّ
الْمَتَسَلِّطِ وَالْمُبْتَدِعِ الدَّاعِيَةِ الْمَتَّبِعِ، كَمَا قَالَ
الْقَائِلُ :

وَكُنْتُ أَمْرًا مِنْ جَنْدِ إِبْلِيسَ فَارْتَقَى
بِي الْحَالُ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جَنْدِي

فَيَصِيرُ إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ مِنْ أَعْوَانِهِ وَأَتْبَاعِهِ،
وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ شَقَوْتُهُمْ، فَاشْتَرَوْا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا صَارُوا إِلَى هَذِهِ الْحَالِ
لَمَّا أَفْلَسُوا مِنَ الصَّبْرِ.

وَهَذِهِ الْحَالَةُ بَيْنَ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ،

وسوء القضاءِ وشماتةِ الأعداءِ^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «تَعَوَّذُوا
بِاللهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ،
وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»^(٢).

سُئِلَ الْجَنِيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الصَّبْرِ، فَقَالَ:
تَجَرُّعُ الْمَرَارَةِ مِنْ غَيْرِ تَعَبُسٍ^(٣).



(١) «عدة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٤٠، للإمام
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ شَمْسِ الدِّينِ
ابن قِيَمَ الْجَوْزِيَّةِ، متوفى ٧٥١هـ.

(٢) «صحيح البخاري»: ٦٦١٦.

(٣) «عدة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٩٩، للإمام
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين
ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ٣٠

قال الله تعالى: ﴿وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا
بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۚ وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ
خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا
بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا
يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧].

قال البغوي: هذه الآيات نزلت بالمدينة في
شهداءٍ أحدٍ، وذلك أنَّ المسلمين لما رأوا ما فعل
المشركون بقتلاهم يومَ أحدٍ، من تبقييرِ البطونِ،
والمثلةِ السيئةِ حتَّى لم يبقَ أحدٌ من قتلى المسلمين
إِلَّا مثَّلَ به غيرَ حنظلةَ بنِ الرَّاهِبِ؛ فإنَّ أباهُ أبا عامرٍ

الرَّاهِبِ كَانَ مَعَ أَبِي سَفْيَانَ، فَتَرَكَوَا حَنْظَلَةً لَذَلِكَ
فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ رَأَوْا ذَلِكَ: لئن أَظْهَرَنَا اللَّهُ
عَلَيْهِمْ لَنَزِيدَنَّ عَلَى صَنِيعِهِمْ، وَلَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مِثْلَهُ لَمْ
يَفْعَلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَحَدٍ^(١).

افتتحت سورة النحل بعدم الاستعجال؛
قال تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾
والاستعجال هو طلبُ الشيء قبل حينه، وخُتِمَتِ
السُّورَةُ بِالصَّبْرِ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا
تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾
[النحل: ١٢٧]، وفي الصَّبْرِ يَكْمُنُ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَثَوَابٌ

(١) تفسير البغوي «معالم التنزيل»، للإمام أبي محمد
الحسين بن مسعود البغوي، متوفى ٥١٦ هـ.

كَبِيرٌ وَأَجْرٌ بَغِيرِ حَسَابٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، لَذَا يَنْبَغِي الصَّبْرُ وَعَدَمُ الاسْتِعْجَالِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: أَخْبَرَ أَنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ لِأَهْلِهِ مُؤَكَّدًا بِالْيَمِينِ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٣٦).

وَأَخْبَرَ أَنَّ مَعَ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى لَا يَضُرُّ كَيْدُ الْعَدُوِّ وَلَوْ كَانَ ذَا تَسْلِيْطٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١٤٠) (١).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَمِمَّا يُنَافِي الصَّبْرَ: شَقُّ الثِّيَابِ

(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٦، لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدٍ شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ قَيِّمٍ الْجَوْزِيَّةِ، مِتُوفَى ٧٥١هـ.

عند المصيبة، ولطمُ الوجه، والضربُ بإحدى اليدينِ على الأخرى، وحلقُ الشعرِ، والدُّعاءُ بالويل، ولهذا برى رسولُ الله ﷺ ممَّن سلقَ وحلقَ وخرقَ.

سلق: رفعَ صوته عند المصيبة، وحلقَ رأسه، وخرقَ ثيابه ^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ادعوا اللهَ وأنتم موقنونَ بالإجابة، واعلموا أنَّ اللهَ لا يستجيبُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ» ^(٢).

(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٥٢٦، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٤٧٩ واللفظ له، والبخاري ١٠٠٦١.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ
كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ
يَرُدَّهُمَا صِفْرًا» ^(١).

قال ميمون بن مهران: ما نال أحدُ شيئاً من
خَتم الخَيْرِ فما دونَه إلا بالصَّبْرِ ^(٢).



(١) «صحيح أبي داود»: ١٤٨٨.

(٢) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»: ص ٨٠، للإمام
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين
ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ ٣١

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

قال ابن كثير: أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه، ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرةً وعشيًّا من عباد الله، سواءً كانوا فقراءً أو أغنياءً أو أقوياءً أو ضعفاءً. يقال: إنها نزلت في

أشراف قريش، حين طلبوا من النبي ﷺ أَنْ يجلسَ معهم وحده ولا يجالسَهم بضعفاء أصحابه، كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلسٍ [على حدة]. فنهاه الله عن ذلك،

فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وأمره أَنْ يصبرَ نفسه في الجلوسِ مع هؤلاء، فقال: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(١).

وقال الله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ١٥٢/٥، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ

فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ [طه: ١٣٠].

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ:

أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ صَبَرَ فَاللَّهُ نَاصِرُهُ وَلَا بُدَّ، فَإِنَّ
اللَّهَ وَكَيْلُ مَنْ صَبَرَ، وَأَحَالَ ظَالِمَهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ
انْتَصَرَ بِنَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَكَانَ هُوَ
النَّاصِرَ لَهَا، فَأَيُّ مَنْ نَاصِرُهُ اللَّهُ خَيْرُ النَّاصِرِينَ، إِلَى
مَنْ نَاصِرُهُ نَفْسُهُ، أَعْجَزَ النَّاصِرِينَ وَأَضْعَفُهُمْ؟^(١).



(١) «قَاعِدَةٌ فِي الصَّبْرِ»: ص ٨-٩، لَشَيْخِ الْإِسْلَام أَبِي الْعَبَّاسِ
تَقِيَّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ
الدَّمَشَقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مُتَوَفَى ٧٢٨ هـ...

﴿كُلُّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ ٣٢

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْمَعِيلَ وَادْرِيْسَ وَذَا

الْكَفْلِ كُلُّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

قال السَّعْدِيُّ: أي: واذكُرْ عبادَنَا المصْطَفِينَ،
وَأَنْبِيَاءَنَا المرْسَلِينَ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، وَأَثْنِ عَلَيْهِم
أَبْلَغَ الثَّنَاءِ، إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَادْرِيْسَ، وَذَا
الْكَفْلِ، نَبِيَّيْنِ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿كُلُّ﴾ مِنْ
هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ ﴿مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ ٨٥.

وَالصَّبْرُ: هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ وَمَنْعُهَا، مِمَّا تَمِيلُ
بَطْعُهَا إِلَيْهِ، وَهَذَا يَشْمَلُ أَنْوَاعَ الصَّبْرِ الثَّلَاثَةَ:

الصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ،
 وَالصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ، فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعَبْدُ
 اسْمَ الصَّبْرِ التَّامِّ، حَتَّى يُوَفِّي هَذِهِ الثَّلَاثَةَ حَقَّهَا.
 فَهَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَدْ وَصَفَهُمُ
 اللَّهُ بِالصَّبْرِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هُمْ وَقَّوْهَا حَقَّهَا، وَقَامُوا بِهَا
 كَمَا يَنْبَغِي، وَوَصَفَهُمُ أَيْضًا بِالصَّلَاحِ، وَهُوَ يَشْمَلُ
 صَلَاحَ الْقَلْبِ، بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمُحِبَّتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ كُلِّ
 وَقْتٍ، وَصَلَاحَ اللِّسَانِ، بِأَنْ يَكُونَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ
 اللَّهِ، وَصَلَاحَ الْجَوَارِحِ، بِاشْتِغَالِهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَكُفِّهَا
 عَنِ الْمَعَاصِي. فَصَبِرْهُمْ وَصَلَاحِهِمْ، أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ
 بِرَحْمَتِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَعَ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ،
 وَأَثَابَهُمُ الثَّوَابَ الْعَاجِلَ وَالْآجِلَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ

ثَوَابِهِمْ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَوَّهَ بِذِكْرِهِمْ فِي الْعَالَمِينَ،
وَجَعَلَ لَهُمْ لِسَانَ صَدِّقٍ فِي الْآخِرِينَ، لَكَفَى بِذَلِكَ
شَرَفًا وَفَضْلًا^(١).

نَادَى أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ بِضُرِّ مَسَّهُ، قَالَ تَعَالَى:
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَآتَى مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ^(٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا
بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَعَاقَبْنَاهُ أَهْلَهُ، وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً
مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].



(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٥٨٠، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعْدِي، متوفى ١٣٧٦هـ.

﴿ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ ٣٣

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾
[الحج: ٣٥].

قال النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خُلِقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ»^(١).

(١) رواه الترمذي برقم: ٣٤٣٢، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه ابن ماجه برقم: ٣٨٩٢، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
وفي صحيح الجامع برقم: ٥٥٥، وسلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: ٢٧٣٧.

قال النووي: قال العلماء من أصحابنا وغيرهم: ينبغي أن يقول هذا الذكر سرًّا، بحيث يُسمع نفسه، ولا يُسمعه المُبتلى؛ لئلا يتألم قلبه بذلك، إلا أن تكون بليته معصيةً، فلا بأس أن يُسمعه ذلك، إن لم يخف من ذلك مفسدةً، والله أعلم^(١).

قال ابن القيم: أن يصبر على أداء حق الله فيها، ولا يضيِّعه فيسلبها.

أن يصبر عن صرفها في الحرام فلا يمكن نفسه من كل ما تريده منها، فإنها توقعه في الحرام، فإن احتراز كل الاحتراز أوقعته في المكروه، ولا يصبر على السراء إلا الصديقون.

(١) «الأذكار»: ص ٣٥٧، للإمام العلامة الفقيه الحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، المتوفى ٦٧٦هـ.

قال بعضُ السَّلف: «البلاءُ يصبرُ عليه المؤمنُ والكافرُ، ولا يصبرُ على العافية إلاَّ صديقٌ».

وقال عبدُ الرَّحمن بنُ عوف: ابتُلينا بالضَّراءِ فصَبَرنا، وابتُلينا بالسَّراءِ فلم نصبرْ^(١).

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ۖ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، صَبَرُوا عما أُمروا به، وَصَبَرُوا عما نُهوا عنه^(٢).



(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ١١٥، للإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قِيَم الجوزِيَّة، متوفى ٧٥١هـ.

(٢) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٧٤، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

﴿ ٣٤ ﴾ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّادِقَاتِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِينَ
وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٣٥].

قال ابن القيم: هذه عبادة العبيد المخلصين،

فهو محتاجٌ إلى الصَّبْرِ على توفيةِ العبادةِ حقَّها بالقيامِ بأدائها وأركانها وواجباتها وسننها، وإلى الصَّبْرِ على استصحابِ ذكرِ المعبودِ فيها، وأن لا يشتغلَ عنه بعبادته، فلا يعطِّله حضوره مع الله بقلبه عن قيامِ جوارحه بعبوديته، ولا يعطِّله قيامُ الجوارحِ بالعبوديةِ عن حضورِ قلبه بين يديه^(١).

وقال: ما دام قلمُ التَّكْلِيفِ جارياً عليه لا يَسْتَغْنِي عن الصَّبْرِ في حالٍ من الأحوالِ، فإنَّه بين أمرٍ يَجِبُ امْتِثَالُهُ وتنفيذه، ونهيٍ يَجِبُ عليه اجتنابه وتركه، وقدَر يَجِبُ عليه الصَّبْرُ عليه

(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٥، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

اتِّفَاقًا، وَنِعْمَةً يَجِبُ عَلَيْهِ شُكْرُ الْمَنَعِ عَلَيْهَا؛ وَإِذَا
كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ لَا تَفَارِقُهُ فَالصَّبْرُ لَازِمٌ لَهُ إِلَى
الْمَمَاتِ ^(١).

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ شَبْرَمَةَ إِذَا نَزَلَ بِهِ بَلَاءٌ قَالَ:
سَحَابَةٌ صَيْفٍ ثُمَّ تَنْقَشِعُ ^(٢).



(١) «عَدَّةُ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ١١٤، لِلْإِمَامِ
مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ شَمْسِ الدِّينِ
ابْنِ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةَ، مَتَوَفَى ٧٥١هـ.

(٢) «عَدَّةُ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ١١٥، لِلْإِمَامِ
مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ شَمْسِ الدِّينِ
ابْنِ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةَ، مَتَوَفَى ٧٥١هـ.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ ٣٥

وقال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ

الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

[المؤمنون: ١١١].

قال ابن القيم: فالشَّكْوَى إليه سبحانه لا تُنافي الصَّبْرَ الجميل، بل إعراض عبده عن الشَّكْوَى إلى غيره جملةً، وجعل الشَّكْوَى إليه وحده: هو الصَّبْرُ، والله تعالى يبتلي عبده لیسْمَعَ شَكْوَاهُ، وتضرُّعَه ودعاءَه.

وقد ذمَّ الله سبحانه من لم يتضرَّع إليه، ولم يستكنَّ له وقتَ البلاء، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

أَخَذْنَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾

[المؤمنون: ٧٦].

والعبدُ أضعفُ من أن يتجلَّدَ على ربِّه، والربُّ تعالى لم يُرِدْ من عبده أن يتجلَّدَ عليه، بل أرادَ منه أن يستكينَ له ويتضرَّعَ إليه، وهو تعالى يمقتُ من يشكوهُ إلى خلقه، ويحبُّ من يشكو ما به إليه، وقيل لبعضهم: كيف تشتكي إليه ما لا يخفى عليه؟ فقال: ربِّي يرضى ذلَّ العبيدِ إليه.

والمقصودُ: أنه سبحانه أمرَ رسوله ﷺ أن يصبرَ صبرَ أولي العزمِ الَّذِينَ صَبَرُوا لحكمه اختياراً وهذا أكملُ الصَّبرِ؛ ولهذا دارت قصةُ الشَّفاعَةِ يومَ القيامةِ على هؤلاءِ حتَّى رُدُّوها إلى أفضلِهِم وخيرِهِم

وَأَصْبِرْ لَهُمْ لِحُكْمِ اللَّهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ
أَجْمَعِينَ^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: إِنَّ مَا يَحْصُلُ لَهُ بِفِعْلِ النَّاسِ فِي
مَالِهِ أَوْ عَرَضِهِ أَوْ نَفْسِهِ، فَهَذَا النَّوعُ يَصْعَبُ الصَّبْرُ
عَلَيْهِ جِدًّا؛ لِأَنَّ النَّفْسَ تَسْتَشْعِرُ الْمُؤْذِيَ لَهَا، وَهِيَ
تَكْرَهُ الْغَلَبَةَ، فَتَطْلُبُ الْإِنْتِقَامَ، فَلَا يَصْبِرُ عَلَى هَذَا
النَّوعِ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّادِقُونَ^(٢).



(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٢٦، للإمام
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ شَمْسِ الدِّينِ
ابْنِ قَيِّمٍ الْجَوْزِيَّةَ، مَتَوَفَى ٧٥١هـ.

(٢) «قَاعِدَةُ فِي الصَّبْرِ»: ص ٣-٤، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ
تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ
الدَّمَشَقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مَتَوَفَى ٧٢٨هـ.

﴿٣٦﴾ أَتَصِيرُونَ ۖ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿﴾

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۖ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصِيرُونَ ۖ وَكَانَ رَبُّكَ
بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

قال السَّعْدِيُّ: قال تعالى جواباً لقول المكذبين:
﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي
الْأَسْوَاقِ﴾ فما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطَّعَامَ

وما جَعَلْنَاهُمْ مَلَائِكَةً، فَلَكَ فِيهِمْ أُسُوءٌ، وَأَمَّا الْغَنِيُّ
وَالْفَقْرُ فَهُوَ فِتْنَةٌ وَحِكْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ:
﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾. الرَّسُولُ فِتْنَةٌ
لِلْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ وَاجْتِبَارُ الْمُطِيعِ مِنَ الْعَاصِينَ.
وَالرُّسُلُ فِتْنَةٌ لَهُمْ بِدَعْوَةِ الْخَلْقِ، الْغَنِيُّ فِتْنَةٌ لِلْفَقِيرِ،
وَالْفَقِيرُ فِتْنَةٌ لِلْغَنِيِّ، وَهَكَذَا سَائِرُ أَصْنَافِ الْخَلْقِ فِي
هَذِهِ الدَّارِ دَارِ الْفِتَنِ وَالْإِبْتِلَاءِ وَالْاجْتِبَارِ.

وَالْقَصْدُ مِنْ تِلْكَ الْفِتْنَةِ ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾
فَتَقُومُونَ بِمَا هُوَ وَظِيفَتُكُمْ الْإِلَازِمَةُ الرَّاتِبَةُ فِي شَيْئِكُمْ
مَوْلَاكُمْ، أَمْ لَا تَصْبِرُونَ فَتَسْتَحِقُّونَ الْمَعَاقِبَةَ؟

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ يَعْلَمُ أَحْوَالَكُمْ،
وَيَصْطَفِي مَنْ يَعْلَمُهُ يَصْلَحُ لِرِسَالَتِهِ وَيَخْتَصُّهُ

بتفضيله، ويعلم أعمالكم فيجازيكم عليها إن خيرًا
فخير، وإن شرًّا فشرٌّ^(١).

قال ابن الجوزي: مَنْ قاربَ الفتنةَ بعدت عنه
السَّلامةُ، ومن ادَّعى الصَّبرَ، وُكِّلَ إلى نفسه.
وربَّ نظرةٍ لم تناظر! وأحقُّ الأشياءِ بالضُّبطِ
والقهر: اللِّسانُ والعَيْنُ^(٢).



(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٥٨٠، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، متوفى ١٣٧٦هـ.

(٢) «صيد الخاطر»: ص ١٦، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ ٣٧

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾

[الفرقان: ٧٥].

قال ابن القيم: وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من أثر الراحة، فاتته الراحة، وأن بحسب ركوب الأهوال، واحتمال المشاق تكون الفرحة والملذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً، استراح طويلاً، وإذا تحمّل مشقة الصبر ساعة قادته لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل

النَّعِيمِ الْمُقِيمِ فَهُوَ ثَمَرَةُ صَبْرِ سَاعَةٍ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ،
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(١).

ذَكَرَ سَعِيدُ أَبُو عُثْمَانَ، وَهُوَ ثِقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ،
قَالَ: نَظَرَ رَجُلٌ إِلَى امْرَأَةٍ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا
الْحُسْنِ وَهَذِهِ النَّصَارَةِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ قِلَّةِ الْحُزْنِ.
فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! وَاللَّهِ إِنِّي لَيَذْبَحُنِي الْحُزْنُ مَا
يُشْرِكُنِي فِيهِ أَحَدٌ، قَالَ: وَكَيْفَ؟

قَالَتْ: ذَبَحَ زَوْجِي شَاةً مُضْحِيًّا، وَلِي صَبِيَّانِ
يَلْعَبَانِ، فَقَالَ أَكْبَرُهُمَا لِلْأَصْغَرِ: أُرِيكَ كَيْفَ صَنَعَ
أَبِي بِالشَّاةِ؟ فَعَلَّقَهُ فَذَبَحَهُ، فَمَا شَعَرْنَا بِهِ إِلَّا مُتَشَحِّطًا
-أَيَّ: مُضَرَّجًا بِدَمِهِ- فَلَمَّا اسْتَعَلَّتِ الصَّبِيَّةُ هَرَبَ

(١) «مفتاح دار السعادة»: ص ٥٠، للإمام أبي عبد الله محمد
ابن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

الْغُلَامُ نَاحِيَةَ الْجَبَلِ، فَرَهَقَهُ -أَي: لَحِقَهُ- ذُبُّ
فَأَكَلَهُ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، وَاتَّبَعَهُ أَبُوهُ يَطْلُبُهُ فَمَاتَ
عَطْشًا، فَأَفْرَدَنِي الدَّهْرُ، قَالَ: فَكَيْفَ صَبْرُكَ؟

قَالَتْ: لَوْ رَأَيْتُ فِي الْجَزَعِ مُدْرِكًا مَا اخْتَرْتُ
عَلَيْهِ ^(١).

عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْفُسَّاقَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ». قيل:
يا رسول الله، وَمَنِ الْفُسَّاقُ؟ قال: «النِّسَاءُ». قال
رجُلٌ: يا رسول الله، أَوَلَسْنَ أُمَّهَاتِنَا، وَأَخَوَاتِنَا،
وَأَزْوَاجُنَا؟ قال: «بلى، وَلَكِنَّهُنَّ إِذَا أُعْطِينَ لَمْ

(١) «صفوة الصفوة»: ٣٥٣/٢، للإمام الحافظ أبي الفرج
عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي
المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

يَشْكُرْنَ، وَإِذَا ابْتَلَيْنَا لَهُمْ يَصْبِرُونَ»^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وَيُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى هَذَا الصَّبْرِ عِدَّةُ أَشْيَاءَ: أَحَدُهَا: أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خَالِقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ وَإِرَادَاتِهِمْ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَلَا يَتَحَرَّكُ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ ذَرَّةٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَشِئَتِهِ، وَالْعِبَادُ آلَةٌ؛ فَنَنْظُرُ إِلَى الَّذِي سَلَّطَهُمْ عَلَيْكَ، وَلَا تَنْظُرُ إِلَى فِعْلِهِمْ بِكَ، تَسْتَرِيحُ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ^(٢).

(١) أخرجه أحمد ١٥٥٣١، واللفظ له، وعبد بن حميد ٣١٤، مطولاً، والطبراني في «المعجم الأوسط» بعد حديث ٢٥٧٤، باختلافٍ يسير.

(٢) «قاعدة في الصبر»: ص ٥، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.

٣٨

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ
بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤].

عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
خُرَّاسَانَ سَأَلَ الشَّعْبِيَّ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّ
مَنْ قَبَلْنَا مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ يَقُولُونَ فِي الرَّجُلِ إِذَا
أَعْتَقَ أَمَتَهُ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا: فَهُوَ كَالرَّائِبِ بَدَنَتُهُ، فَقَالَ
الشَّعْبِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ،
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ:
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ

فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ
 أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ
 كَانَتْ لَهُ أُمَةٌ فَغَدَّاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَبَهَا
 فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»^(١).

عن بشر بن الحارث، قال: قيل لسفيان
 الثوري: أيكون الرجل زاهداً ويكون له مال؟ قال:
 نعم؛ إن كان إذا ابتلي صبر وإذا أُعطي شكر^(٢).



(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣٠١١، ومسلم ٣٨٧.

(٢) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ٣٨٧/٦، للحافظ

أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، متوفى ٤٣٠هـ.

﴿ وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ ٣٩

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ

صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾

[القصص: ٨٠].

قال السَّعْدِيُّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ الَّذِينَ

عرفوا حقائق الأشياء، ونظروا إلى باطن الدُّنْيَا،

حين نظر أولئك إلى ظاهرها: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ متوجَّعين

مما تمنَّوا لأنفسهم، راثين لحالهم، مُنكرين

لمِقَالِهِمْ: ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ العاجل، من لذة العبادة

ومحبَّته، والإنابة إليه، والإقبال عليه. والآجل من

الْجَنَّةِ وما فيها، مما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وتَلْذُّ الْأَعْيُنُ ﴿خَيْرٌ﴾ مِنْ هَذَا الَّذِي تَمَنَيْتُمْ وَرَغِبْتُمْ فِيهِ، فهذه حقيقة الأمر، ولكن ما كُلُّ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ يُوَثِّرُ الْأَعْلَى عَلَى الْأَدْنَى، فَمَا يُلَقِّى ذَلِكَ وَيُوقِّقُ لَهُ ﴿إِلَّا﴾ الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ الَّذِينَ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَعَلَى أَقْدَارِهِ الْمُؤَلَّمَةِ، وَصَبَرُوا عَلَى جَوَازِبِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، أَنْ تَشْغَلَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ، وَأَنْ تَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا خَلَقُوا لَهُ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُؤَثِّرُونَ ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ^(١).

قال ابنُ ضبارة: إِنَّا نَظَرْنَا فَوَجَدْنَا الصَّبَرَ عَلَى

(١) «تفسير الكريم الرَّحْمَن في تفسير كلام المنان»: ص ٦٢٤، للشيخ عبد الرَّحْمَن بن ناصر السَّعْدِي، متوفى ١٣٧٦هـ.

طاعة الله تعالى، أهونَ من الصَّبرِ على عذابِ الله تعالى.

وقال آخرُ: اصبروا يا عبادَ الله على عملٍ لا غنى لكم عن ثوابه، واصبروا على عملٍ لا صبرَ لكم على عقابه^(١).

قال ابن القيم: قيل: إن الصَّبرَ هو الوقوفُ مع البلاءِ بحسنِ الأدبِ^(٢).



(١) «أدب الدنيا والدين»: ص ٦٨، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، متوفى ٤٥٠هـ.

(٢) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»: ص ١٤، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ٤٠

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢].

قال السَّعْدِيُّ: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على عبادة الله

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في ذلك، فصبرهم على

عبادة الله، يَقْتَضِي بذل الجهد والطَّاقَةِ في ذلك،

والمحاربة العظيمة للشَّيْطَانِ، الذي يَدْعُوهم إلى

الإِخْلَالِ بشيءٍ من ذلك. وتوَكُّلُهم يَقْتَضِي شِدَّةَ

اعْتِمَادِهِمْ على الله، وحسنَ ظَنِّهم به، أن يَحَقِّقَ

ما عَزَمُوا عليه من الأَعْمَالِ وَيَكْمُلُهَا. ونَصَّ على

التَّوَكَّلْ، وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي الصَّبْرِ، لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ فَعْلٍ وَتَرْكِ مَأْمُورٍ بِهِ، وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ ^(١).

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلَفَ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قَالَتْ: فَلَمَّا تُوَفِّي أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ؛ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ^(٢).

(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٦٣٥، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، متوفى ١٣٧٦هـ.

(٢) «صحيح مسلم»: ٩١٨.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
**«لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله
 ونفسه حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة»**^(١).

قال ابن القيم: الكريم يصبر في طاعة الرحمن،
 واللئيم يصبر في طاعة الشيطان، فاللئام أصبر الناس
 في طاعة أهوائهم وشهواتهم، وأقل الناس صبراً في
 طاعة ربهم، فيصبر على البذل في طاعة الشيطان أتم
 صبر، ولا يصبر على البذل لله في أيسر شيء^(٢).



(١) أخرجه ابن حبان ٢٩١٣، والترمذي ٢٣٩٩، وأحمد ٧٨٥٩ باختلاف يسير.

(٢) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»: ص ١٤، للإمام
 محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين
 ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ٤١

قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا

يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

قال الطَّبْرِيُّ: يقول تعالى ذِكْرُهُ: فاصبر يا محمدُ
لِمَا يَنَالُكَ مِنْ أَذَاهُمْ، وَبَلِّغْهُمْ رِسَالَةَ رَبِّكَ، فَإِنَّ وَعْدَ
الله الذي وَعَدَكَ مِنَ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ، وَالظَّفَرِ بِهِمْ،
وَتَمَكِينِكَ وَتَمَكِينِ أَصْحَابِكَ وَتَبَاعِكَ فِي الْأَرْضِ
حَقٌّ ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ يقول: وَلَا
يَسْتَخْفَنَ حَلَمَكَ وَرَأْيَكَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكُونَ بِاللَّهِ
الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ بِالْمَعَادِ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ

الممات، فيشطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلفك من تبليغهم رسالته^(١).

عن خباب رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ فِتْنَةَ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، قَالَ: «فَإِنْ أَدْرَكَتْ ذَاكَ، فَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولِ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْقَاتِلِ»^(٢).

(١) تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: ٥٢٩/١٨، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، متوفى ٣١٠هـ.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: ٥/١١٠، ورواه الآجري في «الشریعة»: ص ٤٢-٤٣، والطبراني في الكبير: رقم ٣٦٢٩، ٣٦٣١.

قال ابنُ القيم: الإيمانُ نصفان: نصفٌ صبرٌ ونصفٌ شكرٌ، كان حقيقاً على مَنْ نصحَ نفسه وأحبَّ نجاتها وآثرَ سعادتها، أن لا يهملَ هذين الأصلين العظيمين، ولا يعدلَ عن هذين الطريقين القاصدين، وأن يجعلَ سيره إلى الله بينَ هذين الطريقين، ليجعله يومَ لقاءه مع خيرِ الفريقين ^(١).



(١) «عدَّة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين»: ص ١١، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

٤٢ ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾

قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

قال ابن كثير في قول الله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي: بحدودها وفروضها وأوقاتها، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: بحسب طاقتك وجهدك، ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ۚ﴾، علم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١) أي: إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور (١).

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٦/ ٣٠٢، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

قال ابن القيم: وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا جَرَى عَلَى
الإسلام مِنَ الْفِتَنِ الْكَبَارِ وَالصَّغَارِ رَأَاهَا مِنْ إِضَاعَةِ
هَذَا الْأَصْلِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَى مَنْكِرٍ؛ فَطَلَبَ إِزَالَتَهُ
فَتَوَلَّدَ مِنْهُ مَا هُوَ أَكْبَرُ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى
بِمَكَّةَ أَكْبَرَ الْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهَا، بَلْ لَمَّا
فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ وَصَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ عَزَمَ عَلَى تَغْيِيرِ
الْبَيْتِ وَرَدَّهُ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْعَهُ مِنْ ذَلِكَ
مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ خَشْيَةً وَقَوَعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنْ
عَدَمِ احْتِمَالِ قَرِيشٍ لَذَلِكَ لِقَرَبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ
وَكُونِهِمْ حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِهَذَا لَمْ يَأْذَنْ فِي
الْإِنْكَارِ عَلَى الْأَمْراءِ بِالْيَدِ؛ لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ
وَقَوَعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ كَمَا وَجَدَ سِوَاءً^(١).

(١) «إعلام الموقعين من رب العالمين»: ٤/ ٣٣٨-٣٣٩، للإمام
محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيم
الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: أَنْ يَشْهَدَ أَنَّهُ إِذَا عَفَا وَأَحْسَنَ
 أَوْرَثَهُ ذَلِكَ مِنْ سَلَامَةِ الْقَلْبِ لِإِخْوَانِهِ، وَنَقَائِهِ مِنَ
 الْغُشِّ وَالْغُلِّ، وَطَلَبِ الْإِنْتِقَامِ وَإِرَادَةِ الشَّرِّ، وَحَصَلَ
 لَهُ مِنْ حَلَاوَةِ الْعَفْوِ مَا يَزِيدُ لَذَّتَهُ وَمَنْفَعَتَهُ عَاجِلًا
 وَآجِلًا عَلَى الْمَنْفَعَةِ الْحَاصِلَةِ لَهُ بِالْإِنْتِقَامِ أَضْعَافًا
 مُضَاعَفَةً، وَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ﴾ فَيَصِيرُ مَحْبُوبًا لِلَّهِ، وَيَصِيرُ حَالُهُ حَالِ
 مَنْ أَخَذَ مِنْهُ دَرَاهِمُ، فَعَوَّضَ عَلَيْهَا أُلُوفًا مِنَ الدَّنَانِيرِ،
 فَحِينَئِذٍ يَفْرَحُ بِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ فَرَحٍ يَكُونُ^(١).



(١) «قاعدة في الصبر»: ص ٦، لشيخ الإسلام أبي العباس
 تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني
 الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.

٤٣

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال ابن كثير: أي: لَمَّا كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيهِ وزواجرهِ وتصديقِ رسلِهِ واتباعِهِم فيما جاؤوهم به، كان منهم أئمةٌ يهدون إلى الحقِّ بأمرِ الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. ثُمَّ لَمَّا بدَّلوا وحرفوا وأولَّوا، سلبوا ذلك المقام، وصارت قلوبُهم قاسيةً، يحرفون الكلمَ عن مواضعِهِ، فلا عملَ صالحًا،

ولا اعتقادَ صحيحًا، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾^(١).

قال ابنُ القيم: جعل سبحانه الإمامة في الدين منوطةً بالصَّبرِ واليقين، فقال تعالى وبقره اهتدى المهتدون: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]^(٢).



(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٣٧١ / ٦، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيِّ الدمشقيِّ، متوفى ٧٧٤هـ.

(٢) «عدة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين»: ص ٦، للإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ٤٤

قال الله تعالى: ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ

عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ١٧].

قال الطَّبْرِيُّ: يقولُ تعالى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

اصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا يَقُولُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ لَكَ مِمَّا
تَكْرَهُ قِيلَهُمْ لَكَ، فَإِنَّا مَمْتَحِنُوكَ بِالْمَكَارِهِ امْتَحَانَنَا
سَائِرَ رُسُلِنَا قَبْلَكَ، ثُمَّ جَاعَلُوا الْعُلُوَّ وَالرَّفْعَةَ وَالظَّفَرَ
لَكَ عَلَى مَنْ كَذَّبَكَ وَشَاقَكَ سُنَّتِنَا فِي الرُّسُلِ الَّذِينَ
أَرْسَلْنَاهُمْ إِلَى عِبَادِنَا قَبْلَكَ فَمِنْهُمْ عَبْدُنَا أَيُّوبُ
وَدَاوُدُ بْنُ إِيشَا، فَادْكُرْهُ ذَا الْأَيْدِ. ويعني بقوله:

﴿ذَا الْأَيْدِ﴾: ذا القُوَّةِ والبَطْشِ الشَّدِيدِ فِي ذَاتِ اللَّهِ
وَالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ ^(١).

عن أنسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
«عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ
قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ
فَلَهُ السُّخْطُ» ^(٢).



(١) تفسير الطَّبْرِي «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»:
٥٦١/١٠، للإمام أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرٍ الطَّبْرِي،
متوفى ٣١٠هـ.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٩٦، وابن ماجه ٤٠٣١ واللفظ له.

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ ٤٥

قال الله تعالى: ﴿وَحُذِّ يَدُكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ
بِهِ وَلَا تَحْتِثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ
أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

قال ابن كثير: ذلك أن أيوب عليه السلام كان قد
غَضِبَ على زوجته ووجدَ عليها في أمر فعلته.
قيل: [إنها] باعت ضفيرتها بخبزٍ فأطعمته إيَّاهُ
فلامها على ذلك وحلفَ إن شفاهُ اللهُ ليضربنَّها
مائةَ جلدة. وقيل لغير ذلك من الأسباب. فلمَّا
شفاهُ اللهُ وعافاهُ ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة
التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابلَ
بالضرب، فأفتاه اللهُ ﷻ أن يأخذَ ضِعْفًا وهو:

الشُّمْرَاخِ فِيهِ مَائَةٌ قُضِيبٌ فَيُضْرَبُ بِهَا بِهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً،
 وَقَدْ بَرَّتْ يَمِينُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَتِّهِ وَوَفَى بِنَذْرِهِ، وَهَذَا
 مِنَ الْفَرْجِ وَالْمَخْرَجِ لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ.
 وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ
 أَوَّابٌ﴾ ﴿٤٤﴾ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَمَدَحَهُ بِأَنَّهُ ﴿نَعْمَ
 الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٣٠﴾ أَي: رَجَّاعٌ مُنِيبٌ. وَلِهَذَا قَالَ
 تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ﴿الطلاق: ٢-٣﴾^(١).



(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٧/ ٧٦، للإمام عماد الدِّين أَبِي
 الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيُّ الدَّمَشَقِيُّ،
 مِتُوفَى ٧٧٤هـ..

٤٦ ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿[الزمر: ١٠].

عن الزبير بن عدي، قال: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه فَشَكَّوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم ^(١).

(١) «صحيح البخاري»: ٧٠٦٨.

قال ابن القيم: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: (أَلَا إِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ بَارَ الْجَسَدُ)، ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ فَقَالَ: أَلَا إِنَّهُ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ، وقال: الصَّبْرُ مطية لا تكبو.

وَقَالَ الْحَسَنُ: الصَّبْرُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْخَيْرِ لَا يُعْطِيهِ اللَّهُ إِلَّا لِعَبْدٍ كَرِيمٍ عِنْدَهُ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ فَعَاضَهُ مَكَانَهَا الصَّبْرُ، إِلَّا كَانَ مَا عَوَّضَهُ خَيْرًا مِمَّا انْتَزَعَهُ.

وقال ميمون بن مهران: مَا نَالَ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ خْتَمِ الْخَيْرِ، فَمَا دُونَهُ، إِلَّا الصَّبْرُ.

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْقَاسِمِ: كُلُّ عَمَلٍ يُعْرِفُ ثَوَابَهُ
 إِلَّا الصَّبْرَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ
 بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. قَالَ: كَالْمَاءِ الْمُنْهَمِرِ^(١).

قال ابن القيم: الصَّبْرُ سبَبٌ فِي حَصُولِ كُلِّ
 كَمَالٍ، فَأَكْمَلُ الْخَلْقِ أَصْبَرُهُمْ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ
 أَحَدٍ كَمَالُهُ الْمُمْكِنُ إِلَّا مَنْ ضَعَفَ صَبْرُهُ^(٢).



(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٨٠، للإمام أبي
 عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قِيَم الجوزِيَّة،
 متوفى ٧٥١ هـ.

(٢) «طريق الهجرتين وباب السعادتین»: ص ٢٦٦، للإمام
 محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين
 ابن قِيَم الجوزِيَّة، متوفى ٧٥١ هـ.

﴿٤٧﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴿٤٨﴾

● قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ

اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [غافر: ٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

فَإِذَا مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوَفَّيَنَّكَ

فَإِلَيْنَا لِيرْجَعُونَ﴾ [غافر: ٧٧].

قال الطَّبْرِيُّ: يقول تعالى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

فاصبر يا محمد على ما يجادلُك به هؤلاء

المشركون في آياتِ الله التي أنزلناها عليك، وعلى

تكذيبهم إِيَّاكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مَنْجِزٌ لَكَ فِيهِمْ مَا وَعَدَكَ مِنْ
الظَّفَرِ عَلَيْهِمْ، وَالْعُلُوِّ عَلَيْهِمْ، وَإِحْلَالِ الْعِقَابِ بِهِمْ،
كُسْتُنَّا فِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَمَنْ كَذَّبَهُ.

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ يقول
جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ فِي حَيَاتِكَ بَعْضَ
الَّذِي نَعْدُ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّقْمَةِ
أَنْ يَحْلَ بِهِمْ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قَبْلَ أَنْ يَحْلَ ذَلِكَ
بِهِمْ ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٧٧) يقول: فَإِلَيْنَا مُصِيرُكَ
وَمُصِيرُهُمْ، فَنَحْكُمُ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ
بِتَخْلِيدِنَا هُمْ فِي النَّارِ، وَإِكْرَامِنَاكَ بِجَوَارِنَا فِي
جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١).

(١) تفسير الطُّبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام
أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطُّبري، متوفى ٣١٠هـ..

٤٨

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ
 قَالَ يَبْنَؤُا إِلَيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ
 فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ
 ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
 [الصفافات: ١٠٢].

قال السَّعْدِيُّ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾ الغلام ﴿مَعَهُ
 السَّعَىٰ﴾ أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنًا يكون
 في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبَتْ
 مشقَّته، وأقبلت منفعتُه، فقال له إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ أي: قد رأيتُ في النوم والرؤيا، أَنَّ الله يأمُرني بذبحك، ورؤيا الأنبياءِ وحْيٍ ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ فَإِنَّ أَمَرَ الله تعالى، لا بدَّ من تنفيذه، ﴿قَالَ﴾ إسماعيلُ صابراً محتسباً، مُرضياً لربه، وباراً بوالده: ﴿يَتْلَبَّثُ فَعَلَ مَا تُمُرُّ بِ﴾ أي: [امضِ] لِمَا أَمَرَكَ اللهُ ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٢﴾ أَخْبَرَ أَبَاهُ أَنَّهُ مَوْطِنٌ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ، وقرنَ ذلك بمشيئةِ الله تعالى، لأنَّه لا يكون شيءٌ بدون مشيئةِ الله تعالى^(١).

(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٧٠٦، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، متوفى ١٣٧٦هـ.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَنَاتِ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ كَنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ»^(١).

أنشد عبد الله بن الأحرص بن عمّار القاضي:
الصَّبْرُ أَفْضَلُ شَيْءٍ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الزَّمَانِ إِذَا مَا مَسَّكَ الصَّرُّ^(٢).



(١) أخرجه البخاري ١٤١٨، ومسلم ٢٦٢٩، وأحمد ٢٤٠٥٥، وسنن الترمذي ١٩١٣.

(٢) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»: ص ١٧١، لمحمد ابن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي متوفى ٣٥٤ هـ.

﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ ٤٩

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

[فصلت: ٣٥].

قال ابن كثير: أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشق على النفوس، ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥) أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة،

فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَخَضَعَ
لَهُمْ عَدُوَّهُمْ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ^(١).

قال أبو بكر: بلغني أَنَّ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ قِيلَ
لَهُ: مَا الْحِلْمُ؟ قَالَ: أَنْ تَصْبِرَ عَلَى مَا تَكْرَهُ قَلِيلًا^(٢).



(١) «تفسير القرآن العظيم»: ١٨١/٧، للإمام عماد الدِّين
أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيِّ الدَّمَشَقِيِّ،
متوفى ٧٧٤هـ.

(٢) «كتاب الحلم»: ص ٥٧، لأبو بكر عبد الله بن محمد
ابن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي
المعروف بابن أبي الدنيا، متوفى ٢٨١هـ.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾

٥٠

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ

لِمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾، أي: صَبَرَ على الأذى وغفر، أي: ترك الانتصارَ لوجهِ الله تعالى، وهذا فيمن ظلمه مسلمٌ.

ويُحكى أَنَّ رجلاً سَبَّ رجلاً في مجلسِ الحسنِ عليه السلام فكان المسبوبُ يكظمُ ويعرقُ فيمسحُ العرقَ، ثُمَّ قامَ فتلا هذه الآيةَ، فقال الحسنُ: عقلها والله! وفهمها إذ ضيَّعها الجاهلون.

وبالجملة: العفو مندوبٌ إليه، ثُمَّ قد ينعكسُ

الأمْرُ في بعضِ الأحوالِ فيرجعُ تركُ العفوِ مندوبًا إليه كما تقدّمَ، وذلك إذا احتيجَ إلى كَفِّ زيادةِ البغيِ وقطعِ مادّةِ الأذى^(١).

قال ابنُ القيم: أَخْبَرَ أَنَّ الصَّبْرَ والمَغْفِرَةَ من العِزَّاتِ الَّتِي تَجَارُهُ أَرْبَابُهَا لَا تَبُورُ، فقال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وأمرَ رسولُه بالصَّبْرِ لحكمِه، وأخبرَ أَنَّ صَبْرَه إِنَّمَا هو به، وبذلك جميعُ المصائبِ تهونُ، فقال: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال:

(١) تفسير القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن»: ٤٩٥/١٨، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، متوفى ٦٧١هـ.

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٧-١٢٨].

والصَّبْرُ آخِيَةُ الْمُؤْمِنِ التي يجولُ ثمَّ يرجعُ إليها، وساقُ إِيْمَانِهِ التي لا اعتمادَ له إِلَّا عليها، فلا إِيْمَانٍ لِمَن لا صَبَرَ له، وإن كان فإِيْمَانٌ قَلِيلٌ في غَايَةِ الضَّعْفِ، وصاحبُهُ مَمَّنْ ﴿يَعْبُدُ اللهُ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١]، ولم يحظَ منهما إِلَّا بِالصَّفَقَةِ الخاسرة، فخيرٌ عِيشٌ أدركَهُ السُّعْدَاءُ بِصَبْرِهِمْ، وترقَّوا إلى أعلى المنازلِ بِشكرِهِمْ، فساروا بين جناحي الصَّبْرِ

وَالشُّكْرِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^(١).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي
الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ
بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى
إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»^(٢).



-
- (١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٩، للإمام
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين
ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.
- (٢) «صحيح مسلم»: ٢٨٠٨.

٥١ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾

قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلِغٌ فَبَلَّغْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[الأحقاف: ٣٥].

قال الطَّبْرِيُّ: يقولُ تعالى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مَثَّبَهُ عَلَى الْمَضِيِّ لِمَا قَلَّدَهُ مِنْ عِبَاءِ الرِّسَالَةِ، وَثَقَلَ أَحْمَالِ النُّبُوَّةِ ﷺ، وَأَمَرَهُ بِالِاتِّسَاعِ فِي الْعَزْمِ عَلَى النُّفُوزِ لَذَلِكَ بِأُولِي الْعَزْمِ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ رُسُلِهِ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى عَظِيمٍ مَا لَقُوا فِيهِ مِنْ قَوْمِهِمْ مِنَ الْمَكَارِهِ، وَنَالَهُمْ فِيهِ مِنْهُمْ مِنَ الْأَذَى وَالشَّدَائِدِ

﴿فَاصْبِرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا أَصَابَكَ فِي اللَّهِ مِنْ أذى
مَكْذِبِيكَ مِنْ قَوْمِكَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ بِالْإِنذارِ
﴿كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ
اللَّهِ، وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ مِنْ رُسُلِهِ الَّذِينَ لَمْ يَنْهَهُم
عَنِ النَّفْوذِ لِأَمْرِهِ، مَا نَالَهُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةٍ. وَقِيلَ: إِنَّ
أُولِي الْعِزْمِ مِنْهُمْ، كَانُوا الَّذِينَ امْتَحِنُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ
فِي الدُّنْيَا بِالْمَحْنِ، فَلَمْ تَزِدْهُمْ الْمَحْنَ إِلَّا جَدًّا فِي
أَمْرِ اللَّهِ، كَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَمَنْ أَشَبَّهُهُمْ^(١).

نَادَى نُوحٌ ﷺ رَبَّهُ وَهُوَ بَضْعِفَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

قَالَ الطَّبْرِيُّ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: «فَدَعَا نُوحٌ

(١) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ «جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ»: ١٧٦/٢١، لِلْإِمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ،
مُتَوَفَّى ٣١٠ هـ.

رَبَّهُ: إِنَّ قَوْمِي قَدْ غَلَبُونِي، تَمَرَّدُوا وَعَتَوْا، وَلَا طَاقَةَ لِي بِهِمْ، فَانْتَصِرْ مِنْهُمْ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِكَ عَلَى كُفْرِهِمْ بِكَ»^(١).

ونادى موسى ﷺ رَبَّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

ونادى زكريَّا ﷺ رَبَّهُ عِنْدَمَا رَغِبَ فِي الْوَلَدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].

قال ابنُ القيم: كذلك صَبِرُ الْخَلِيلِ وَالْكَلِيمِ، وَصَبِرُ نُوحٍ، وَصَبِرُ الْمَسِيحِ، وَصَبِرُ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ

(١) تفسير الطَّبْرِي «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: ١٢١/٢٢، للإمام أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطَّبْرِي، متوفى ٣١٠هـ.

وسيد ولد آدم صلى الله عليهم أجمعين، كان صبراً على الدعوة إلى الله ومجاهدة أعداء الله، ولهذا سمّاهم الله تعالى «أولي العزم» وأمر رسوله أن يصبر صبرهم فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] (١).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهٌ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» (٢).

(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةِ الشَّاكِرِينَ»: ص ٥٩، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

(٢) «صحيح البخاري»: ٣٤٠٥.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَنِ الصَّابِرِ: إِنَّ انْتِقَامَهُ وَاسْتِيفَاءَهُ
وَانْتِصَارَهُ لِنَفْسِهِ، وَانْتِصَارَهُ لَهَا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ قَطُّ، فَإِذَا كَانَ هَذَا خَيْرَ خُلُقِ اللَّهِ
وَأكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ لَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، مَعَ أَنَّ أَذَاهُ
أَذَى لِلَّهِ، وَيَتَعَلَّقُ بِهِ حُقُوقُ الدِّينِ، وَنَفْسُهُ أَشْرَفُ
الْأَنْفُسِ وَأَزْكَاهَا وَأَبْرَاهَا، وَأَبْعَدُهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ
مَذْمُومٍ، وَأَحَقُّهَا بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ، وَمَعَ هَذَا فَلَمْ
يَكُنْ يَنْتَقِمُ لَهَا. فَكَيْفَ يَنْتَقِمُ أَحَدُنَا لِنَفْسِهِ الَّتِي
هُوَ أَعْلَمُ بِهَا وَبِمَا فِيهَا مِنَ الشُّرُورِ وَالْعُيُوبِ؟ بَلِ
الرَّجُلُ الْعَارِفُ لَا تُسَاوِي نَفْسُهُ عِنْدَهُ أَنْ يَنْتَقِمَ لَهَا،
وَلَا قَدَّرَ لَهَا عِنْدَهُ يُوجِبُ عَلَيْهِ انْتِصَارَهُ لَهَا^(١).



(١) «قاعدة في الصبر»: ص ٧، لشيخ الإسلام أبي العباس
تَقِيَّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ
الدَّمَشَقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، مُتَوَفَى ٧٢٨هـ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَقَامَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾

[محمد: ٣١].

قال إبراهيم الخواص: مَنْ لَمْ يَصْبِرْ لَمْ يَظْفَرْ،
وَمَنْ لَمْ تَبْكِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ لَمْ تَضْحَكِ الْآخِرَةُ إِلَيْهِ.
والعلم كله في كلمتين: لا تتكلف ما كُفيت، ولا
ما استكفيت، ليكن لك قلب ساكن وكف فارغ،
وتذهب النفس حيث شاءت^(١).

(١) «تأريخ المقرئ الكبير»: ١ / ٩٤، تأليف: تقي الدين أبي
العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقرئ،
متوفى ٨٤٥هـ..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصَبِّ مِنْهُ»^(١).

قال عبد الله بن المبارك: مَنْ صَبَرَ فما أَقَلَّ ما
 يَصْبِرُ، وَمَنْ جَزَعَ فما أَقَلَّ ما يَتِمَّتْهُ^(٢).

قال ابن تيمية: فَإِنَّ مَنْ صَبَرَ وعَفَا كانَ صَبْرُهُ
 وعَفْوُهُ موجبًا لذلِّ عَدُوِّهِ، وخَوْفِهِ وخَشْيَتِهِ مِنْهُ
 ومن الناسِ، فَإِنَّ الناسَ لا يَسْكُتُونَ عَنْ خَصْمِهِ
 وَإِنْ سَكَتَ هُوَ، فإذا انتَقَمَ زالَ ذلُّكَ كُلُّهُ^(٣).



(١) «صحيح البخاري»: ٥٦٤٥.

(٢) «جامع العلوم والحكم»: ٥٨٥ / ٢، ابن رجب الحنبلي.

(٣) «قاعدة في الصبر»: ص ٧، لشيخ الإسلام أبي العباس
 تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني
 الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.

﴿٥٣﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴿٥٣﴾

قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أمره تعالى بالصبر على أقوالهم: إنه ساحر؛ إنه كاهن؛ إنه كذاب؛ إلى غير ذلك.

والمعنى: لا تحفل بهم؛ فإن لعذابهم وقتاً مضروباً لا يتقدم ولا يتأخر^(١).

(١) «الجامع لأحكام القرآن» تفسير القرطبي: ١٤٠/٦، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، متوفى ٦٧١هـ.

٥٤ ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

قال الله تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦].

قال الطبري: قوله: ﴿أَصْلَوْهَا﴾ يقول: ذوقوا حرَّ هذه النارِ التي كنتم بها تكذبون، وردُّوها، فاصبروا على ألمها وشدَّتها، أو لا تصبروا على ذلك، سواء عليكم صبرتم أو لم تصبروا.

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: ما تُجْزَوْنَ إِلَّا أَعْمَالِكُمْ: أي لا تُعاقَبُونَ إِلَّا على

معصيتكم في الدنيا ربكم وكفركم^(١).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ:

«يُودُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ
الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي
الدُّنْيَا بِالْمَقَارِضِ»^(٢).

قال ميمون بن مهران رضي الله عنه:

(١) تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: ٤٨٦/١١، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، متوفى ٣١٠هـ.

(٢) «صحيح الجامع» للألباني ٨١٧٧، وأخرجه الترمذي ٢٤٠٢ واللفظ له، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات»: ٢٠٢، والطبراني في «المعجم الصغير»: ٢٤١.

الصَّبْرُ صَبْرَانِ، فَالصَّبْرُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ حَسَنٌ،
وَأَفْضَلُ مِنْهُ الصَّبْرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ^(١).

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فِيمَا أَوْصَى بِهِ عَلِيٌّ بْنُ
الْحَسَنِ السُّلَمِيِّ: (عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي الْمَوَاطِنِ
كُلِّهَا؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ يَجُرُّ إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَجُرُّ إِلَى
الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالْغَضَبَ؛ فَإِنَّهُمَا يَجُرَّانِ إِلَى
الْفُجُورِ، وَالْفُجُورُ يَجُرُّ إِلَى النَّارِ)^(٢).



(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ١٢٨، للإمام
أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قِيَم الجوزِيَّة،
متوفى ٧٥١هـ.

(٢) «حَلِيَّة الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتِ الْأَصْفِيَاءِ»: ٧/ ٨٤، لأبي نعيم
أحمد بن عبد الله الأصبهاني، متوفى ٤٣٠هـ.

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ٥٥

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا^ط وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ^ط﴾
[الطور: ٤٨].

قال الطَّبْرِيُّ: يقول تعالى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أَطْعُ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي حَكَمَ بِهِ عَلَيْكَ، وَاَمْضِ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَبَلِّغْ رِسَالَاتِهِ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا^ط﴾. يقول جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَإِنَّكَ بِمَرَأَى مَنْأٍ، نَرَاكَ وَنَرَى عَمَلَكَ، وَنَحْنُ نَحُوطُكَ وَنَحْفَظُكَ، فَلَا يَصُلُّ إِلَيْكَ مَنْ أَرَادَكَ بِسَوْءٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(١).

(١) تفسير الطَّبْرِيِّ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: ٦٠٥/٢١، للإمام أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ، متوفى ٣١٠هـ.

قال ابنُ الجوزي: وكان بعضُ العارفين في جيبه رقعةٌ يُخرجُها في كلِّ ساعةٍ يطالعُها، وفيها: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ^(١).

فالتَّقوى مفتاحُ كلِّ خيرٍ، تكفِّرُ السيئاتِ، وتفرِّجُ الكرباتِ، وتزيدُ في الرِّزقِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

(١) «منهاج القاصدين ومفيد الصّادقين»: ص ٣٥١، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

وقال الله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

فالصَّبْرُ هو العملُ القلبيُّ الذي تطيبُ معه الحياةُ، وما طابت الحياةُ إلا بالصَّبرِ، مع ما فيها من المُنغصَّاتِ والمُشكلاتِ والشَّدائدِ والمشقاتِ.



قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾

[القلم: ٤٨].

قال الطَّبْرِيُّ: يقولُ تعالى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فاصبر يا محمد لقضاء ربك وحكمه فيك، وفي هؤلاء المشركين بما أتيتهم به من هذا القرآن، وهذا الدين، وامض لما أمرك به ربك، ولا يُثْنِيكَ عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إياك وأذاهم لك.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخُوتِ﴾ الذي حبسه في بطنه، وهو يونس بن متى ﷺ فيعاقبك

رُبُّكَ عَلَى تَرْكِكَ تَبْلِيغِ ذَلِكَ، كَمَا عَاقَبَهُ فَحَبَسَهُ فِي بَطْنِهِ: ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ﴿٤٨﴾ يَقُولُ: إِذْ نَادَى وَهُوَ مَغْمُومٌ، قَدْ أَثْقَلَهُ الْغَمُّ وَكْظَمَهُ ^(١).

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ:

«دَعْوَةُ ذِي النُّونِ الَّتِي دَعَا بِهَا فِي بَطْنِ الْحَوْتِ:
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، لَمْ
يَدْعُ مُسْلِمٌ بِهَا فِي كُرْبَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ» ^(٢).

قال ابن القيم: وَأَمَّا دَعْوَةُ ذِي النُّونِ: فَإِنَّ فِيهَا
مِنْ كَمَالِ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَاعْتِرَافِ

(١) تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: ٢٠٢/١٢، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، متوفى ٣١٠هـ.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» وغيره، وصححه الألباني.

الْعَبْدُ بِظُلْمِهِ وَذَنْبِهِ مَا هُوَ مِنْ أَبْلَغِ أَدْوِيَةِ الْكَرْبِ
وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَأَبْلَغِ الْوَسَائِلِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي
قَضَاءِ الْحَوَائِجِ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ وَالتَّنْزِيهَ يَتَضَمَّنَانِ
إثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ لِلَّهِ، وَسَلْبَ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ
وَتَمَثِيلَ عَنْهُ. وَالْإِعْتِرَافُ بِالظُّلْمِ يَتَضَمَّنُ إِيمَانَ
الْعَبْدِ بِالشَّرْعِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَيُوجِبُ انْكِسَارَهُ
وَرُجُوعَهُ إِلَى اللَّهِ، وَاسْتِقَالَتُهُ عَثْرَتَهُ، وَالْإِعْتِرَافُ
بِعُبُودِيَّتِهِ، وَافْتِقَارَهُ إِلَى رَبِّهِ، فَهَذَا هُنَا أَرْبَعَةُ أُمُورٍ قَدْ
وَقَعَ التَّوَسُّلُ بِهَا: التَّوْحِيدُ، وَالتَّنْزِيهُ، وَالْعُبُودِيَّةُ،
وَالْإِعْتِرَافُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي أَمَامَةَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ
مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ

وَالْبُخْلُ، وَضَلَعَ الدِّينَ، وَغَلَبَ الرِّجَالَ، فَقَدْ
تَضَمَّنَ الْإِسْتِعَاذَةَ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ، كُلُّ اثْنَيْنِ مِنْهَا
قَرِينَانِ مُزْدَوَجَانِ، فَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ أَخَوَانِ، وَالْعَجْزُ
وَالْكَسَلُ أَخَوَانِ، وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ أَخَوَانِ، وَضَلَعَ
الدِّينَ وَغَلَبَهُ الرِّجَالُ أَخَوَانِ.

فَإِنَّ الْمَكْرُوهَ الْمُؤْلِمَ إِذَا وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ، فَإِمَّا
أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ أَمْرًا مَاضِيًّا، فَيُوجِبُ لَهُ الْحُزْنَ، وَإِنْ
كَانَ أَمْرًا مُتَوَقَّعًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، أَوْ جَبَّ الْهَمُّ.

وَتَخَلَّفُ الْعَبْدُ عَنْ مَصَالِحِهِ وَتَفْوِئَتِهَا عَلَيْهِ، إِمَّا
أَنْ يَكُونَ مِنْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ وَهُوَ الْعَجْزُ، أَوْ مِنْ عَدَمِ
الْإِرَادَةِ وَهُوَ الْكَسَلُ.

وَحَبْسُ خَيْرِهِ وَنَفْعُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ بَنِي جَنْسِهِ،
إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَنَعَ نَفْعَهُ بِيَدِنِهِ، فَهُوَ الْجُبْنُ، أَوْ بِمَالِهِ،
فَهُوَ الْبُخْلُ.

وَقَهْرُ النَّاسِ لَهُ إِمَّا بِحَقٍّ، فَهُوَ ضَلَعُ الدِّينِ، أَوْ
بِبَاطِلٍ فَهُوَ غَلْبَةُ الرِّجَالِ.

فَقَدْ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ الْإِسْتِعَاذَةَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

وَأَمَّا تَأْثِيرُ الْإِسْتِغْفَارِ فِي دَفْعِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ
وَالضِّيقِ، فَلَمَّا اشْتَرَكَ فِي الْعِلْمِ بِهِ أَهْلُ الْمَلَلِ
وَعُقْلَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ أَنَّ الْمَعَاصِي وَالْفَسَادَ تُوجِبُ
الْهَمَّ وَالْغَمَّ، وَالْخَوْفَ وَالْحُزْنَ، وَضِيقَ الصَّدْرِ،
وَأَمْرَاضَ الْقَلْبِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَهَا إِذَا قَضَوْا مِنْهَا
أَوْطَارَهُمْ، وَسَمَّمَتَهَا نَفُوسُهُمْ، ارْتَكَبُوهَا دَفْعًا لِمَا

يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الضِّيقِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ (١).

ذكر الإمام القرطبي عن ابنِ صبيحٍ قال: شكَا رجلٌ إلى الحسنِ الجدوبةَ، فقال له: استغفرِ اللهَ.

وشكا آخرٌ إليه الفقرَ، فقال له: استغفرِ اللهَ. وقال

له آخرٌ: ادعُ اللهَ أن يرزقني ولداً، فقال له: استغفرِ

اللهَ. وشكا إليه آخرٌ جفافَ بستانه، فقال له:

استغفرِ اللهَ، فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلتُ من

عندي شيئاً، إنَّ اللهَ تعالى يقولُ في سورة نوحٍ:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ

السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلِ

(١) «زاد المعاد في هُدي خير العباد»: ص ٦٠٧، للإمام

محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابنِ قَيِّمٍ

الجوزيَّة، متوفى ٧٥١هـ.

لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا ﴿﴾ [نوح: ١٠-١٢] ^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: فَإِذَا شَهِدَ الْعَبْدُ أَنَّ جَمِيعَ مَا
يَنَالُهُ مِنَ الْمَكْرُوهِ فَسَبِّهْهُ ذُنُوبَهُ، اشْتَغَلَ بِالتَّوْبَةِ
وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي سَلَّطَهُمْ عَلَيْهِ بِسَبَبِهَا،
عَنْ ذَمِّهِمْ وَلَوْمِهِمْ وَالْوَقِيعَةِ فِيهِمْ ^(٢).



(١) تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن»: ١٩٣/٤،

للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح
الأنصاري القرطبي، متوفى ٦٧١هـ.

(٢) «قاعدة في الصبر»: ص ٥، لشيخ الإسلام أبي العباس
تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني
الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ

هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].

قال شيخ الإسلام: الهجرُ الجميلُ هو هجرٌ بلا أذى، والصَّفْحُ الجميلُ صفْحٌ بلا معاتبة، والصَّبْرُ الجميلُ صَبْرٌ بغيرِ شكوى إلى المخلوق. ولهذا قرئَ على أحمدَ بنِ حنبلٍ في مرضه أنَّ طاوَسًا كان يكرهه أنينَ المريضِ ويقول: إِنَّهُ شَكْوَى. فما أَنَّ أحمدَ حتَّى ماتَ^(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧].

(١) «مجموع الفتاوى»: ١٨٢/٥، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

قال السَّعْدِيُّ: أي: احتسبْ بصبرِكَ، واقصدْ به وجهَ الله تعالى، فامتثلْ رسولَ الله ﷺ لأمرِ ربِّه، وبادرْ إليه، فأنذرِ النَّاسَ، وأوضحْ لهم بالآياتِ البَيِّنَاتِ جميعَ المطالبِ الإلهيَّةِ، وعظَّمْ الله تعالى، ودعا الخلقَ إلى تعظيمِه، وطهَّرْ أعماله الظَّاهِرةَ والباطنةَ من كلِّ سوءٍ، وهجرَ كلَّ ما يبعدُ عن الله من الأصنامِ وأهلِها، والشرِّ وأهلِه.

وله المنةُ على النَّاسِ بعدَ منَّةِ الله مِنْ غيرِ أن يطلبَ منهم على ذلك جزاءً ولا شكورًا، وصبرَ لله أكملَ صبرٍ، فصبرَ على طاعةِ الله، وعن معاصي الله، وعلى أقدارِ الله المؤلمةِ، حتَّى فاقَ أولي العزمِ من المرسلين، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعليهم أجمعين^(١).

(١) «تفسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان»:

وإذا كنتَ مريضًا فلا تنظرُ إلى أهلِ العافية، بل
انظرُ إلى من أشدَّ مرضًا منك.

عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وهو يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا؟ قَالَ: «أَجَلٌ، إِنِّي أُوعَكُ
كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُم» قُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ
أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ
يُصِيبُهُ أَدَى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا
سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» ^(١).



ص ٨٩٥-٨٩٦، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي،
متوفى ١٣٧٦ هـ.

(١) «صحيح البخاري»: ٥٦٤٨.

٥٨ ﴿وَحَزَنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]

قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعُ مِنْهُمْ

ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

قال الطَّبْرِيُّ: يقول: اصبر لِمَا امتحنَكَ به ربُّكَ من فرائضه، وتبليغ رسالته، والقيام بما أَلَزَمَكَ القيام به في تنزيله الذي أوحاهُ إليك ﴿وَلَا تَطْعُ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ﴿٢٤﴾ يقول: ولا تطع في معصية الله من مشركي قومك آثِمًا يريدُ بركوبه معاصيه، أو كفورًا: يعني جحودًا لنعمه عنده، وآلائه قبله، فهو يكفرُ به، ويعبدُ غيره ^(١).

(١) تفسير الطَّبْرِيُّ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: ٣٧٣/١٢، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطَّبْرِيُّ، متوفى ٣١٠هـ.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ»^(١).

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ»، وزادني غيره، قال: يا رسول الله، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»^(٢)!

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٦٠٩٩، ومسلم ٢٨٠٤.

(٢) رواه أبو داود ٤٣٤١، والترمذي ٣٠٥٨، وابن ماجه

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ٥٩

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ﴾ [البلد: ١٧].

قال ابن كثير: أي: كان من المؤمنين العاملين صالحًا، المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم. كما جاء في الحديث:

«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا

مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»^(١).

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٤١.

وفي الحديث الآخر: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ»^(١).

قال ابن الجوزي: عن عبد الله بن أحمد بن حنبلٍ يقول: كنتُ كثيرًا أسمعُ والدي -أحمد بن حنبل- يقول: رحمَ الله أبا الهيثم، غفرَ الله عن أبي الهيثم، فقلت: يا أبة، مَنْ أبو الهيثم؟ قال: ألا تعرفُهُ؟ قلتُ: لا، قال: أبو الهيثم الحدادُ. اليومُ الذي أُخرجتُ فيه للسياطِ، ومُدَّتْ يداي للعقابين، إذا أنا بإنسانٍ يجذبُ ثوبي من ورائي ويقولُ لي: تعرفني؟ قلتُ: لا، قال: أنا أبو الهيثم العيارُ، اللصُّ الطرارُ،

(١) «صحيح البخاري»: ٧٣٧٦.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»: ٤٠٩/٨، للإمام عماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيَّ الدَّمَشَقِيَّ، متوفى ٧٧٤هـ.

مكتوبٌ في ديوانِ أميرِ المؤمنين أني ضربتُ ثمانيةَ عشرةَ ألفِ سوطٍ بالتَّفَارِيقِ، وصبرتُ في ذلك على طاعةِ الشَّيْطَانِ لأجلِ الدُّنْيَا، فاصبرِ أنتَ في طاعةِ الرَّحْمَنِ لأجلِ الدِّينِ. قال: فَضْرَبْتُ ثمانيةَ عشرَ سوطاً بدلَ ما ضربتُ ثمانيةَ عشرَ ألفاً، وخرجَ الخادمُ فقال: عفا عنه أميرُ المؤمنين.

وقد ذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنُ عُرْفَةَ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ أَحْمَدَ ضَرَبَ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ. وَقَالُوا لَهُ: ادْعُ عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ، فَقَالَ: لَيْسَ بِصَابِرٍ مَنْ دَعَا عَلَى ظَالِمٍ^(١). وَقَالَ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةُ: إِنَّ مَنْ لَمَحَ حَلَاوَةَ

(١) «مناقب أحمد بن حنبل»: ص ٢٩٤، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ..

العافية هانت عليه مرارة الصبر^(١).

مثال ذلك: مريض أجرى له الطبيب عمليةً بدنيةً، فهو يصبرُ على ألم العملية بدون جزع من أجل عافية البدن، تذكرُ أنَّ كلَّ نعمةٍ دون الجنةِ فإنَّها فانيةٌ، وكلَّ بلاءٍ دون النارِ عافيةٌ، ولا مصيبةٌ كموتِ القلبِ.

فجميعُ النَّاسِ في هذه الدُّنيا مبتلَى بالمصائبِ والنَّقمِ: المريضُ والمُعافى، والغنيُّ والفقيرُ، والكبيرُ والصغيرُ.

ويهوُّنُ البلاءُ على المؤمنِ اعتقادهُ بأنَّه من

(١) «بدائع الفوائد»: ص ٥٧، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

قضاء الله وقدره، ولا حيلة له في دفعه وصرفه،
فيتهيأ للصبر ويدفع عنه اليأس والجزع.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: فتح
رسول الله ﷺ باباً بينه وبين الناس أو كشف ستراً،
فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر، فحمد الله على ما
رأى من حسن حالهم رجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي
رآهم فقال: «يا أيها الناس، أيما أحد من الناس أو
من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعرّ بمصيبته بي عن
المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإنَّ أحدًا من أمتي لن
يُصاب بمصيبة بعدي أشدَّ عليه من مُصِيبَتِي» ^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه ١٥٩٩ واللفظ له، والطبراني في
«الصغير»: ٦١٢، والبيهقي في «دلائل النبوة»:

ولقد أحسن أبو العتاهية في نظمهِ موافقاً لهذا
الحديث، حيث يقولُ:

اصبر لكلِّ مصيبة وتجلّدِ واعلم بأن المرء غير مُخلّدِ
أو ما ترى أن المصائب جَمّة وترى المنية للعباد بمرصدِ
من لم يُصب ممن ترى بمصيبة هذا سبيل لست عنه بأوحدِ
فإذا ذكرت محمداً ومُصابه فاجعل مصابك بالنبّيِّ محمدِ
وفي رواية:

وإذا ذكرت مصيبة تسلّو بها فاذكر مصابك بالنبّيِّ محمدٍ^(١)



(١) «تسلية أهل المصائب»: ص ١٨، لأبي عبد الله محمد بن محمد المنبجي الحنبلي.

﴿ ٦٠ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[العصر: ٣].

قال السَّعْدِيُّ في تفسير هذه السورة مبيناً الصفات الأربعة التي إذا اتصف بها الإنسان نجاه الله من الخسران، وهي: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به. والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة.

والتَّوَّاصِي بِالْحَقِّ، الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ
الصَّالِحُ، أَي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثُّه
عليه، ويرعِّبه فيه. والتَّوَّاصِي بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ
الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة،
فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه،
وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور
الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز
بالرَّبح [العظيم] ^(١).

قال الجنيد: المسيرُ من الدُّنيا إلى الآخرة سهلٌ
على المؤمن، وهجرانُ الخلقِ في حبِّ الحقِّ
شديدٌ، والمسيرُ من النَّفسِ إلى الله صعبٌ شديدٌ،
والصَّبْرُ مع الله أشدُّ، فذكر شدَّة الصَّبْرِ عن شواغلِ

(١) «تفسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٩٣٤،
للشيخ عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي، متوفى ١٣٧٦ هـ.

القلب، ثُمَّ شَدَّةَ هَجْرَانِ الْخَلْقِ ^(١).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: مَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لغيره؛ فعليه أَنْ يَسْتَعْمَلَ مَعَ التَّقْوَى وَالصَّبْرِ، فَيَكْرَهُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ دِينَ لَا يَعْتَدُونَ عَلَى الْمَحْسُودِ، فَلَا يُعِينُونَ مَنْ ظَلَمَهُ، وَلَكِنَّهُمْ أَيْضًا لَا يَقُومُونَ بِمَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ؛ بَلْ إِذَا ذَمَّهُ أَحَدٌ لَمْ يُوَافِقُوهُ عَلَى ذَمِّهِ، وَلَا يَذْكُرُونَ مَحَامِدَهُ، وَكَذَلِكَ لَوْ مَدَحَهُ أَحَدٌ لَسَكَتُوا. وَهَؤُلَاءِ مَدِينُونَ فِي تَرْكِ الْمَأْمُورِ فِي حَقِّهِ، مُفَرِّطُونَ فِي ذَلِكَ لَا مُعْتَدُونَ عَلَيْهِ، وَجَزَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ يُبْخَسُونَ حُقُوقَهُمْ، فَلَا يُنْصَفُونَ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ، وَلَا يُنْصَرُونَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُمْ، كَمَا لَمْ يُنْصَرُوا هَذَا الْمَحْسُودَ. وَأَمَّا مَنْ اعْتَدَى بِقَوْلٍ أَوْ

(١) «منهاج القاصدين ومفيد الصادقين»: ٣٧٣/٢، للإمام

الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

فَعِلْ فَذَلِكَ يُعَاقِبُ^(١).

وقال سفيان الثوري: ثلاثة من الصَّبر: لا تحدّث بمصيبتك، ولا بوجعك، ولا ترك نفسك^(٢).

وقال ابن القيم: وأخبر سبحانه خبراً مؤكداً بالقسم: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢-٣].

وقسم خلقه قسمين: أصحاب ميمنة وأصحاب

(١) «مُجموع الفتاوى»: ٧٧-٧٢ / ٦، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.

(٢) «عدة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين»: ص ٣٨٩، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

مَشَامَةٍ، وَخَصَّ بِالْمِيْمَةِ أَهْلَ التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ
وَالْمَرْحَمَةِ، وَخَصَّ بِالْإِنْتِفَاعِ بآيَاتِهِ أَهْلَ الصَّبْرِ وَأَهْلَ
الشُّكْرِ تَمِيِزًا لَهُمْ بِهَذَا الْحِظِّ الْمَوْفُورِ، فَقَالَ فِي أَرْبَعِ
آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥، لقمان: ٣١، سبأ: ١٩، الشورى: ٣٣].

وَعَلَّقَ الْمَغْفِرَةَ وَالْأَجَرَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ
وَالصَّبْرِ، وَذَلِكَ عَلَى مَنْ يَسِّرْهُ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، فَقَالَ:

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١]^(١).



(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٨، للإمام مُحَمَّد
ابن أَبِي بَكْرٍ بن أَيُّوب بن سَعْدٍ شَمْسُ الدِّينِ ابن قِيَمٍ
الْجَوْزِيَّة، مَتَوَفَى ٧٥١هـ.

خاتمة

قال ابن القيم: يا مَنْ عزمَ على السَّفرِ إلى الله
والدارِ الآخرة، قد رُفِعَ لك علمٌ فشمرْ إليه فقد
أمكنَ التَّشْمِيرَ، واجعلْ سيرَكَ بين مطالعةٍ منته
ومشاهدةٍ عيبِ النَّفسِ والعملِ والتقصيرِ، فما
أبقى مشهدُ النِّعمةِ والذَّنْبِ للعارفِ من حسنةٍ،
يقولُ: هذه مُنجيتي من عذابِ السَّعيرِ، ما المعوّلُ
إلا على عفوهِ ومغفرته، فكلُّ أحدٍ إليهما فقيرٌ.

أبوؤ بنعمتك عليّ وأبوؤ بذنبي [فاغفر لي]،
أنا المذنبُ المسكينُ وأنت ما تساوي أعمالك
لو سلمتَ مما يبطلها أدنى نعمةٍ من نعمهِ عليك،

وأنت مرتهنٌ بشكرها من حين أرسل بها إليك،
فهل رعيّتها بالله حقَّ رعايتها وهي في تصرّيفك
وطوع يدك؟

فتعلّق بحبلِ الرجاء، وادخل من بابِ التوبة
والعملِ الصّالح ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠].

نهجَ للعبدِ طريقَ النجاةِ وفتحَ له أبوابها، وعرفه
طرقَ تحصيلِ السعادةِ وأعطاه أسبابها، وحذّره من
وبالِ معصيته، وأشهدَه في نفسه وفي غيره شؤمها
وعقابها، وقال: إن أطعتَ فبفضلي وأنا أشكرُ،
وإن عصيتَ فبقضائي وأنا أغفرُ، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

أزاحَ عن العبدِ العللَ، وأمره أن يستعيدَ به من

العجز والكسل، ووعدَه أن يشكرَ له القليلَ من
العمل، ويغفرَ له الكثيرَ من الزَّلَلِ ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ﴾ ٢٤.

أعطاه ما يشكره عليه، ثمَّ شكره على إحسانه
إلى نفسه لا على إحسانه إليه، ووعدَه على إحسانه
لنفسه أن يحسنَ جزاءه ويقربَه لديه، وأن يغفرَ له
خطاياهُ إذا تابَ منها ولا يفضحه بين يديه، ﴿إِنَّ
رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ٢٥.

وثقتُ بعفوه هفواتُ المذنبين فوسعها،
وعكفتُ بكرمه آمالُ المحسنين فما قطعَ
طمعها، وخرقتُ السَّبعَ الطُّباقَ دعواتُ التَّائبين
والسَّائِلين فسمعها، ووسعَ الخلائقَ عفوه
ومغفرته ورزقه، فما من دابةٍ في الأرضِ إلَّا

على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها،
﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤).

يجودُ على عبده بالنَّوالِ قبلَ السُّؤالِ، ويُعطي
سائله ومؤمليه فوقَ ما تعلَّقتُ به منهم الآمالُ،
ويغفرُ لمن تابَ إليه ولو بلغتْ ذنوبه عددَ الأمواجِ
والحصيِّ والترابِ والرَّمالِ، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ﴾ (٣٤).

أرحمُ بعباده من الوالدةِ بولدها، وأفرحُ بتوبةِ
التَّائبِ مِنَ الفاقِدِ لراحلتِهِ الَّتِي عليها طعامه وشرابه
في الأرضِ المهلكةِ إذا وجدَها، وأشكرُ للقليلِ من
جميعِ خلقه. فمن تقَرَّبَ إليه بمِثقالِ ذرَّةٍ من الخيرِ
شكرَها وحمدَها، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤).

تعرَّفَ إلى عباده بأوصافه وأسمائه، وتحبَّبَ

إليهم بحلمه وآلائه، ولم تمنعه معاصيهم أن
جاذ عليهم بآلائه، ووعد مَنْ تاب إليه وأحسن
طاعته بمغفرة ذنوبه يومَ لقائه، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ﴾ (٣٤).

السَّعَادَةُ كُلُّهَا فِي طَاعَتِهِ، وَالْأَرْبَاحُ كُلُّهَا
فِي مَعَامَلَتِهِ، وَالْمَحْنُ وَالْبَلَايَا كُلُّهَا فِي مَعْصِيَتِهِ
وَمُخَالَفَتِهِ، فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْفَعُ مِنْ شُكْرِهِ وَتَوْبَتِهِ،
﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤).

أَفَاضَ عَلَى خَلْقِهِ النُّعْمَةَ، وَكَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ، وَضَمَّنَ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَهُ أَنَّ رَحْمَتَهُ
تَغْلِبُ غَضَبَهُ، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤).

يُطَاعُ فَيُشْكَرُ، وَطَاعَتُهُ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَفَضْلِهِ،
وَيُعَصَى فَيُحْلَمُ، وَمَعْصِيَةُ الْعَبْدِ مِنْ ظُلْمِهِ وَجَهْلِهِ،

ويتوبُ إليه فاعلُ القبيحِ فيغفرُ له، حتَّى كأنَّه لم يكن قطُّ من أهله ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤).

الحسنةُ عندهُ بعشرةِ أمثالِها أو يضاعفُها بلا عددٍ ولا حسابان، والسيئةُ عندهُ بواحدةٍ ومصيرُها إلى العفو والغفرانِ، وبابُ التوبةِ مفتوحٌ لديه منذُ خلقَ السماواتِ والأرضِ إلى آخرِ الزَّمانِ ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤).

بابُهِ الكريمُ مناخُ الآمالِ ومحطُّ الأوزارِ، وسماءُ عطايَاهُ لا تقلعُ عن الغيثِ، بل هي مدرارُ، ويمينه ملاءى لا تغيضُها نفقةُ سَحَاءِ الليلِ والنهارِ ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤).

لا يلقي وصايَاهُ إِلَّا الصَّابرونَ، ولا يفوزُ بعطايَاهُ إِلَّا الشَّاكرونَ، ولا يهلكُ عليه إِلَّا الهالكونَ، ولا

يَشْقَىٰ بَعْدَهِ إِلَّا الْمَتَمَرِّدُونَ، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ﴾ (٣٤).

فإيَّاكَ أيُّها المتمرِّدُ أن يأخذَكَ على غرَّةٍ فإنَّه
غيورٌ، وإذا أقمتَ على معصيته وهو يمدُّكَ بنعمته
فاحذره فإنَّه لم يهملَكَ، لكنَّه صبورٌ، وبشراك أيُّها
المحسنُ التائبُ بمغفرته ورحمته ﴿إِنَّ رَبَّنَا
لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) (١).

وقال: مشقَّةُ الصَّبرِ بحسبِ قوَّةِ الدَّاعي
إلى الفعلِ وسهولته على العبدِ، فإذا اجتمعَ في

(١) «عَدَّةُ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٥٤٤-٥٤٧،
للإمام مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر بن أَيُّوب بن سَعْد شَمْس الدِّين
ابن قِيَم الجوزيَّة، متوفى ٧٥١هـ.

الفعل هذان الأمران كان الصَّبْرُ عنه أشقَّ شيءٍ
على الصَّابِرِ، وإنْ فَقَدَا مَعًا سَهْلَ الصَّبْرِ عنه، وإنْ
وَجَدَا أَحَدُهُمَا وَفُقِدَ الْآخَرُ سَهْلَ الصَّبْرِ مِنْ وَجْهِه،
وَصَعَبَ مِنْ وَجْهِه.

فَمَنْ لَا دَاعِيَ لَهُ إِلَى الْقَتْلِ وَالسَّرْقَةِ وَشَرِبِ
الْمُسْكِرِ وَأَنْوَاعِ الْفَوَاحِشِ وَلَا هُوَ سَهْلٌ عَلَيْهِ،
فَصَبْرُهُ عَنْهُ مِنْ أَيْسَرِ شَيْءٍ عَلَيْهِ وَأَسْهَلِهِ.

وَمَنْ اشْتَدَّ دَاعِيهِ إِلَى ذَلِكَ وَسَهْلَ عَلَيْهِ فَعَلُهُ،
فَصَبْرُهُ عَنْهُ أَشَقُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا كَانَ صَبْرُ
الْسلطانِ عَنِ الظُّلْمِ، وَصَبْرُ الشَّبابِ عَنِ الْفَاحِشَةِ،
وَصَبْرُ الْغَنِيِّ عَنِ تَنَاوُلِ اللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ
بِمَكَانٍ.

وفي المسند وغيره عن النبي ﷺ: «عَجَبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءٌ»^(١).

ولذلك استحقَّ السبعة المذكورون في الحديث أن يظلَّهم الله في ظلِّ عرشه لكمالِ صبرِهم ومشقَّته، فإنَّ صبرَ الإمامِ المتسلِّطِ على العدلِ في قسمه وحكمه ورضاهُ وغضبه، وصبرَ الشابِّ على عبادة الله ومخالفة هواه، وصبرَ الرجلِ على ملازمة المسجد، وصبرَ المتصدِّقِ على إخفاء الصدقة حتَّى عن بعضه، وصبرَ المدعوِّ إلى الفاحشة مع جمالِ الدَّاعي ومنصبه، وصبرَ المتحابِّين في الله على [ذلك في حالِ اجتماعهما وافتراقهما، وصبرَ الباكي من خشية الله على] كتمانِ ذلك إظهاره

(١) صبوء: أي: ليس له مَيْلٌ إلى الهوى والمعصية، وهي المرّة منه.

للناس من أشقَّ الصَّبرِ.

ولهذا كانت عقوبةُ الشَّيخِ الزَّاني والملكِ الكذابِ والفقيهِ المختالِ أشدَّ العقوبةِ لسهولةِ الصَّبرِ عن هذه الأشياءِ المحرَّماتِ عليهم لضعفِ دواعيها في حقِّهم، فكان تركُّهم الصَّبرَ عنها دليلاً على تمرُّدِّهم على الله وعتوِّهم عليه.

ولهذا كان الصَّبرُ عن معاصي اللِّسانِ والفرجِ من أصعبِ أنواعِ الصَّبرِ لشدَّةِ الدَّاعي إليهما وسهولتهما، فإنَّ معاصي اللِّسانِ فاكهةُ الإنسانِ، كالنَّميمةِ، والغيبةِ، والكذبِ، والمراءِ، والثناءِ على النَّفسِ تعريضاً وتصريحاً، وحكايةِ كلامِ النَّاسِ، والطعنِ على من يبغيضُه، ومدحِ مَنْ يحبُّه ونحوِ ذلك، فتتفكُّ قوَّةُ الدَّاعي وتيسرُ حركةُ اللِّسانِ،

فيضعفُ الصَّبْرُ، ولهذا قال ﷺ لمعاذٍ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ» فقال: (وَأَنَا لَمْؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟) فقال: ﷺ «وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَانْدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»^(١).

ولا سيِّما إذا صارتِ المعاصي اللسانية معتادةً للعبد، فإنه يعزُّ عليه الصَّبْرُ عنها، ولهذا تجدُ الرجلَ [يقومُ الليلَ ويصومُ النهارَ و] يتورعُ من استناده إلى وسادةٍ حريِرٍ لحظةً واحدةً، ويطلقُ لسانَه في الغيبةِ، والنميمةِ، والتفكُّه بأعراضِ الخلقِ، والقول على الله ما لا يعلمُ.

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه»: ٢٦١٦، وقال «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في «سننه» رقم: ٣٩٧٣ نحوه.

وكثيراً ممّن تجده يتورّع عن الدّانق^(١) من الحرام، والقطرة من الخمر، ومثل رأس الإبرة من النجاسة، ولا يُبالي بارتكاب الفرج الحرام، كما يُحكى أنّ رجلاً خلا بامرأة أجنبية فلمّا أراد موافعتها قال: يا هذه، غطي وجهك، فإنّ النظر إلى وجه الأجنبية حرام!!.

وقد سأل عبد الله بن عمر رجل من أهل الكوفة عن دم البعوض، فقال: انظروا إلى هؤلاء، يسألوني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ.

واتّفق لي قريبٌ من هذه: جاءني في حال الإحرام، قومٌ من الأعراب المعروفين بقتل النفوس والإغارة على الأموال يسألونني عن قتل

(١) الدانق: يطلق على الشيء التافه والحقير.

المُحَرَّمِ القَمَلِ، فقلت: يا عَجَبًا! لا يَتَوَرَّعونَ عن قَتْلِ النَّفْسِ التي حَرَّمَ اللهُ، وَيَسْأَلُونَ عَنِ قَتْلِ القَمَلَةِ في الإِحْرَامِ^(١)!

وقال ابنُ القِيَمِّ: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فَقَالَ: اللَّصُّ دَخَلَ دَارِي وَأَخَذَ مَتَاعِي. فَقَالَ: اشْكِرِ اللهَ، فَلَوْ دَخَلَ اللَّصُّ قَلْبَكَ - وَهُوَ الشَّيْطَانُ - وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ التَّوْحِيدَ مَاذَا كُنْتَ تَصْنَعُ^(٢)؟

(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ١٢٧ -

١٢٨، للإمام مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر بن أَيُّوب بن سَعْد شمس الدِّين ابن قِيَمِّ الجَوْزِيَّة، متوفَّى ٧٥١هـ.

(٢) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ١٢٤، للإمام

مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر بن أَيُّوب بن سَعْد شمس الدِّين ابن قِيَمِّ الجَوْزِيَّة، متوفَّى ٧٥١هـ.

وقال ابن القيم: لَمَّا نَزَلَ فِي إِحْدَى عَيْنِي عَطَاءُ الْمَاءِ، مَكَثَ عَشْرِينَ سَنَةً لَا يَعْلَمُ بِهِ أَهْلُهُ، حَتَّى جَاءَ ابْنُهُ يَوْمًا مِنْ قَبْلِ عَيْنِهِ، فَعَلِمَ أَنَّ الشَّيْخَ قَدْ أُصِيبَ.

وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى دَاوُدَ الطَّائِي فِي فَرَاشِهِ فَرَأَاهُ يَزْحَفُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].
فَقَالَ: مَهْ! لَا تُعْلِمُ بِهَذَا أَحَدًا. وَقَدْ أَقْعَدَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ أَحَدٌ.

وقال مغيرة: شكا الأحنفُ إلى عمِّه وجعَ ضرسِه، فكررَ ذلك عليه، فقال: ما تكررُ عليّ، لقد ذهبتَ عيني منذ أربعين سنةً فما شكوتُها إلى أحدٍ^(١).

(١) «عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ»: ص ٥٢٩، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

يقول النُّعْمَانُ بن بشيرٍ: إِنَّ الْهَلَكَةَ كُلَّ الْهَلَكَةِ
أَنْ تَعْمَلَ عَمَلَ السَّوِّءِ فِي زَمَانِ الْبَلَاءِ ^(١).

قال الإمام الشَّافعي ^(٢):

دَعِ الْإِيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطَبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ
وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلْدًا وَشِمْتُكَ السَّمَاةَ وَالْوَفَاءُ
وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي الْبَرَايَا وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ
تَسْتَرِّ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ يُغَطِّيهِ كَمَا قِيلَ السَّخَاءُ
وَلَا تُرِ لِلْأَعَادِي قَطُّ ذُلًّا فَإِنَّ شِمَاتَةَ الْأَعْدَا بَلَاءُ
وَلَا تَرْجُ السَّمَاةَ مِنْ بَخِيلٍ فَمَا فِي النَّارِ لِلظَّمْآنِ مَاءُ

(١) «المصنف»: ٢٥٦/١٢، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله
ابن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة، متوفى ٢٣٥هـ.

(٢) ديوان الشافعي: لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي
المطَّلبي القرشي ١٥٠-٢٠٤هـ.

وَرَزُقَكَ لَيْسَ يُنْقِضُهُ التَّائِي وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ
 وَلَا حُزْنَ يَدُومُ وَلَا سُرُورَ وَلَا بُؤْسَ عَلَيْكَ وَلَا رَخَاءَ
 إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءُ
 وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَيا فَلَا أَرْضُ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءُ
 وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ الْقَضَا ضَاقَ الْفَضَاءُ
 دَعِ الْأَيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ فَمَا يُغْنِي عَنِ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ

وقال:

أَتَهْزَأُ بِالْدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
 سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ

وقال:

أَرَى حُمُرًا تَرعى وَتُعَلِّفُ مَا تَهْوَى وَأُسَدَّاجِياعًا تَظْمَأُ الدَّهْرَ لَا تُرَوِّى
وَأَشْرَافَ قَوْمٍ لَا يَنالُونَ قوتَهُمْ وَقَوْمًا لثامًا تَأْكُلُ المَنَ وَالسَّلوى
قَضَاءً لِدَيانِ الخَلائِقِ سابِقُ وَلَيْسَ عَلَى مُرِّ القَضَا أَحَدٌ يَقوى
فَمَنْ عَرَفَ الدَّهْرَ الخَوْوَْنَ وَصَرَفَهُ تَصَبَّرَ لِلبَلوى وَلَمْ يُظْهِرِ الشَّكوى

وقال:

تَمَوْتُ الأُسْدُ فِي الغاباتِ جوعًا وَلَحْمُ الضَّأْنِ تَأْكُلُهُ الكِلابُ
وَعَبْدٌ قَدْ يَنامُ عَلَى حَريرٍ وَذُو نَسَبٍ مَفارِشُهُ التُّرابُ

فالدُّنيا دارُ البلاءِ والابتلاءِ قصيرةٌ فانيةٌ،
والآخرةُ دارُ الجزاءِ والبقاءِ دائمةٌ، قال الله
تعالى: ﴿فَمَا مَتَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيا فِي الآخِرَةِ
إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ

عَلَيْهَا فَإِنَّ ﴿٢٦﴾ وَيَجْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

[الرَّحْمَن: ٢٦-٢٧].

قال ابن الجوزي: سجع على قوله تعالى:

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

[المؤمنون: ١١١].

لله أقوام امثلوا ما أمروا، وزجروا عن الزلل
فانزجروا، فإذا لاحت الدنيا غابوا وإذا بانت
الأخرى حضروا، فلو رأيتهم في القيامة إذا حشروا
﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

جنَّ عليهم الليل فسهروا، وطالعوا صحفَ
الذنوب فانكسروا، وطرقوا باب المحبوب
واعتذروا، وبالغوا في المطلوب ثم حذروا، فانظر

بماذا وعدوا في الذكر وذُكروا ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ .

ربحوا والله وما خسروا، وعاهدوا على
الزهد فما غدروا، واحتالوا على نفوسهم فملكوا
وأسروا، وتفقدوا أنه المولى فاعترفوا وشكروا
﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ .

بيوتهم في خلوها كالصوامع، وعيونهم تنظر
بالتقى من طرف خاشع والأجفان قد سحت
سحب المدامع تسقي بذر الفكر الذي بذروا ﴿إِنِّي
جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ .

جدوا فليس فيهم من يلعب، ورفضوا الدنيا
فتركوها تخرب، وأذابوا قلوبهم بقله المطعم

والمشرب، فغداً يقال : كل يا من لم يأكل واشرب
يا من لم يشرب، أذكراهم في الحياة وإن كانوا
قبروا ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

علموا أن الدنيا لعب ولهو وزينة، وأن من
وافق مرادها فارق دينه، فحذروا من غرور يجدي
غيبنة، فركبوا من التقى في سفينة أشحنوها بالزاد
وعبروا ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

طوبى لهم والأملأك تتلقاهم، كشف الحجاب
عن عيونهم فأراهم، هذا أقصى آمالهم وقد ظفروا
﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

بلغنا الله ذلك المبلغ، وأسمعنا زجر الناصح
فقد أبلغ، وسترنا من العقاب فإنه إن عفا أسبغ،

ولولا عونہ ما قدرُوا ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾^(١).

تذكر أن الله ﷻ قال لعباده: لا تقنطوا، ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الرُّم: ٥٣].

وقال يعقوب ؑ لأولاده: لا تيأسوا، ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يُوسُف: ٨٧].

(١) «التبصرة»: ص ٢٠٢-٢٠٣، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

وقال يوسف عليه السلام لأخيه: لا تبتئس، ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ عَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يُوسُف: ٦٩].

وقال شعيب عليه السلام لموسى عليه السلام لا تخف: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الْقَصص: ٢٥].

وقال نبينا محمد صلوات الله وسلاماته عليه لأبي بكر رضي الله عنه لا تحزن: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التَّوْبَة: ٤٠].

قال القاضي صدر الدين بن القماح:

اضْبِرْ عَلَى حُلُوِّ الزَّمَانِ وَمُرِّهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ
 فالصدرُ من لقي الأمور بصدرة وبصبره وبحمده وبشكره
 فنشر الطمأنينة في النفوس تقلل القلق، فاصبر
 وقل على دوام: الحمد لله.

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمُنَّتْهُ



مصادر لَيْتَكَ تَصْبِرُ

١- القرآن الكريم

٢- ابن جرير: تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، متوفى ٣١٠هـ.

٣- الرازي «تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين»: للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم، متوفى ٣٢٧هـ.

٤- النيسابوري: «الوسيط في تفسير القرآن المجيد»، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، متوفى ٤٦٨هـ.

٥- البغوي: تفسير البغوي «معالم التنزيل»،
للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود،
متوفى ٥١٦ هـ.

٦- القرطبي: تفسير القرطبي «الجامع لأحكام
القرآن»، للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح
الأنصاري الخزرجي الأندلسي، متوفى ٦٧١ هـ.

٧- ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم»، للإمام
الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر
القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤ هـ.

٨- السعدي: تفسير السعدي «تيسير
الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، للشيخ
عبد الرحمن بن ناصر، متوفى ١٣٧٦ هـ.

- ٩- ابن أبي شيبة: «المصنف»: للإمام الحافظ
أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم، متوفى ٢٣٥هـ.
١٠- ابن حنبل: «مسند أحمد» للإمام أحمد
ابن محمد بن حنبل، متوفى ٢٤١هـ.

- ١١- البخاري: صحيح البخاري
«الجامع المسند الصحيح المختصر من
أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» للإمام أبي
عبد الله محمد بن إسماعيل، متوفى ٢٥٦هـ.
١٢- المسلم: «صحيح مسلم»، للإمام أبي
الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، متوفى
٢٦١هـ.

- ١٣- ابن ماجه: «سنن ابن ماجه»، للإمام

الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني،
متوفى ٢٧٣هـ.

١٤- الترمذي: سنن الترمذي، «الجامع
الكبير»، للإمام أبي عيسى محمد بن سورة، متوفى
٢٧٩هـ.

١٥- النسائي: سنن النسائي «كتاب السنن
الكبرى»، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب
الخرساني، متوفى ٣٠٣هـ.

١٦- ابن حبان: صحيح ابن حبان «المسند
الصحيح على التقاسيم والأنواع»، للإمام الحافظ
أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي
البُستي، المتوفى ٣٥٤هـ.

١٧- الطبراني: «المعجم الكبير»، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، متوفى ٣٦٠هـ.

١٨- الحاكم: «المستدرک على الصحيحين»، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه ابن نعيم النيسابوري، متوفى ٤٠٥هـ.

١٩- ابن بطلال: «شرح صحيح البخاري»، للإمام أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، متوفى ٤٤٩هـ.

٢٠- البيهقي: «دلائل النبوة» للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين، متوفى ٤٥٨هـ.

٢١- ديوان الشافعي: لأبي عبد الله محمد بن

إدريس الشافعي المطلبِّي القرشي، متوفى ٢٠٤هـ.

٢٢- ابن أبي الدنيا: «كتاب الشكر»: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، الأموي البغدادي، متوفى ٢٨١هـ.

٢٣- الدينوري: المجالسة جواهر العلم: تصنيف: أحمد بن مروان بن محمد القاضي المالكي، متوفى ٣٣٣هـ.

٢٤- الأصفهاني: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله، متوفى ٤٣٠هـ.

٢٥- الماوردي: «أدب الدنيا والدين» تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، متوفى ٤٥٠هـ.

٢٦- ابن الجوزي: الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي القرشي البغدادي، متوفى ٥٩٧هـ .

«صيد الخاطر» «تنوير الغبش في فضل السودان والحبش» «مناقب أحمد بن حنبل» «صفوة الصفوة» «منهاج القاصدين ومفيد الصادقين»

٢٧- ابن قيم الجوزية: الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ .

«عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» «بدائع الفوائد» «إعلام الموقعين من رب العالمين» «الوابل الصيب من الكلام الطيب» «مفتاح دار السعادة» «زاد المعاد في هدي خير العباد» «مدارج

السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»

٢٨- الغزالي: «إحياء علوم الدين»: لأبي حامد

محمد بن محمد الطوسي، متوفى ٥٠٥ هـ.

٢٩- النووي: «الأذكار»: للإمام العلامة

الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين بن شرف،

المتوفى ٦٧٦ هـ.

٣٠- ابن تيمية: «مجموع فتاوى» «قاعدة

في الصبر» لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين

الحراني، متوفى ٧٢٨ هـ.

٣١- ابن رجب الحنبلي «جامع العلوم

والحكم» للمؤلف: زين الدين أبي الفرج

عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادى ثم

الدمشقي الشهير بابن رجب، متوفى ٧٩٥ هـ.

٣٢- «تنبيه المغتربين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر»: تأليف: القطب أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشافعي الشعراني، متوفى ٩٧٣ هـ.



الفهرس

- مقدمة..... ٥
- ١- ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾..... ١٨
- ٢- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾..... ٢٢
- ٣- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾..... ٢٥
- ٤- ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾..... ٢٨
- ٥- ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَآءِ﴾..... ٣٤
- ٦- ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾..... ٣٩
- ٧- ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾..... ٤٥
- ٨- ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ سَتًّا﴾..... ٤٩
- ٩- ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾..... ٥٣
- ١٠- ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾..... ٥٦
- ١١- ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾..... ٥٩
- ١٢- ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾..... ٦١

- ١٣- ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ ٦٤
- ١٤- ﴿فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾ ٦٩
- ١٥- ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَخُصَّكُمْ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ ٧٢
- ١٦- ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ ٧٤
- ١٧- ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾ ٧٩
- ١٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ٨١
- ١٩- ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصَّكَ اللَّهُ﴾ ٨٦
- ٢٠- ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ٨٩
- ٢١- ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ الْعُقْبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٩٢
- ٢٢- ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ ٩٥
- ٢٣- ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ ١٠٣
- ٢٤- ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ ١١٤
- ٢٥- ﴿سَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ ١١٩
- ٢٦- ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا أَدْثَمُونَا﴾ ١٢٢
- ٢٧- ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ ١٢٧

- ٢٨- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾..... ١٣١
- ٢٩- ﴿ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا﴾..... ١٣٤
- ٣٠- ﴿وَلَيْتَ صَبَرْتُمْ لَعَزَّتْ لَحُورُ خَيْرٍ لِّلصَّابِرِينَ﴾..... ١٣٨
- ٣١- ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾..... ١٤٣
- ٣٢- ﴿كُلُّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾..... ١٤٦
- ٣٣- ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾..... ١٤٩
- ٣٤- ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾..... ١٥٢
- ٣٥- ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾..... ١٥٥
- ٣٦- ﴿أَتَصْبِرُونَ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾..... ١٥٨
- ٣٧- ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾..... ١٦١
- ٣٨- ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾..... ١٦٥
- ٣٩- ﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾..... ١٦٧
- ٤٠- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾..... ١٧٠
- ٤١- ﴿فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾..... ١٧٣
- ٤٢- ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾..... ١٧٦

- ٤٣- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ ١٧٩
- ٤٤- ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ ١٨١
- ٤٥- ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ ١٨٣
- ٤٦- ﴿إِنَّمَا يُؤْتِي النَّصِيرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ١٨٥
- ٤٧- ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ١٨٨
- ٤٨- ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ١٩٠
- ٤٩- ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ ١٩٣
- ٥٠- ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ ١٩٥
- ٥١- ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ﴾ ١٩٩
- ٥٢- ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ ٢٠٤
- ٥٣- ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ٢٠٦
- ٥٤- ﴿إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٠٧
- ٥٥- ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ٢١٠
- ٥٦- ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ ٢١٣
- ٥٧- ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ ٢٢٠

تمت بحمد الله ومنتها

- ٥٨- ﴿وَجَزَّوْهُمْ بِمَا صَدُّوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا﴾ ٢٢٣
- ٥٩- ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ٢٢٥
- ٦٠- ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ٢٣١
- خاتمة ٢٣٦
- مصادر لیتک تبصر ٢٥٩
- الفهرس ٢٦٨

تمت بحمد الله ومنته

